مُقَدِّمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين ، سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه الطيبين ، وبعد :

شرَّف الله سبحانه وتعالى اللغة العربيَّة أيمّا شرف فأنزل بها القــرآن الكريم ، المعجزة المستمرة على تعاقب السنين ، وكرّم الله تعــالى اللُّغــة العربية وحفظها وصانها به .

فاللُّغة العربية تذخر بتراث هائل في الدرس اللُّغوي ؛ وذلــك بفضــل القرآن الكريم الذي ضمن لها البقاء والخلود ، وهذا التراث هو ما يميز هذه اللغة عن غيرها من اللُّغات الأُخرى .

وحريٌّ بنا أن نرجع إلى هذا التراث ، ونستمد منه ، لأنه يمثل صورة حيَّة لفكرنا وثقافتنا التى صنعت أعظم حضارة في التاريخ على الإطــلاق وهي الحضارة الإسلامية .

إن الاهتمام بالتراث العربي له أهميته القصوى في عصرنا هذا ، لــذا يجب علينا أن نزوّد مناهجنا بأعلام هذا التراث ومعالمه ، لنــربط أجيالنــا الحاضرة بتاريخ تراثهم الأدبي ، حتى يصبح تاريخ أعلام التراث العربــي وجهودهم مكوِّناً أساسياً من المكوِّنات النفسية للمجتمع .

ومن هذا المنطلق تجيء هذه الدراسة بعنوان علم اللغة النفسي فــي التراث العربي ، كتاب البيان والتبيين للجاحظ أنموذجاً .

أهميّة البحث :

يُعدُّ علم اللُّغة النفسي من العلوم الأساسية في الدرس اللُّغوي الحديث ؛ لذا تجئ هذه الدراسة لتقف على ملامح هذا الموضوع المهم في كتاب البيان والتبيين، والذي يعد من أمهات كتب التراث العربي ، وذلك لكشف موضوعات علم اللغة النفسي ، والمتمثلة في :النظريّات المعرفية المرتبطة باللُّغة ، و اكتساب اللُّغة ، والتعلم اللُّغوي ، وعيوب الكلام ، والتواصل اللغوي وغيرها من الموضوعات التي تناولها في كتابه .

أهداف البحث :

١. الاهتمام بالتراث العربي ؛ لربط حاضر الأمّة بماضيها في مجال الدراسات اللغوية .
٢. إبراز دور اللُّغويون الأوائل في كشف موضوعات علم اللغة النفسي .
٣. إظهار جهود الجاحظ في دراسته لموضوعات علم اللغة النفسي في كتابه البيان والتبيين ، وأهمية هذا الكتاب كمصدر أساسي من مصادر الدرس اللغوي الحديث.

مشكلة البحث :

يعد علم اللغة النفسي في العصر الحديث من العلوم التي وجدت اهتماماً كبيراً من العلماء في الغرب ، فاقتفى أثرهم علماء الشرق ، الذين وجدوا في كتب التراث العربي موضوعات متفرقة تناولت بعضاً من مجالات علم اللغة النفسي ، ومنها كتاب البيان والتبيين للجاحظ ، والذي تناول قديماً موضوعات طرقها حديثاً علم اللغة النفسي كالنظريات المعرفية المرتبطة باللغة ، والتعلم اللغوي ، و اكتساب اللُّغة، وعيوب الكلام ،

وغيرها ؛ فيجئ هذا البحث للكشف عن هذه الموضوعات في هذا المصدر والذي يعدُّ من أمّهات كتب التُّراث العربي .

أسئلة البحث :

١. هل درس اللغويون الأوائل موضوعات علم اللغة النفسي.
٢. مامفهوم علم اللغة النفسي .
٣. ماهي مجالات علم اللغة النفسي التي تناولها الجاحظ في البيان والتبيين.
٤. ماهي جهود الجاحظ في هذا العلم ، وكيف فسر موضوعاته في البيان والتبيين .
٥. هل تعرض الجاحظ لمسألتي اكتساب اللغة والتعلم اللغوي .
٦. كيف تناول موضوع النظريات المعرفية المرتبطة باللغة .
٧. هل تطرق لموضوع عيوب الكلام وكيف فسرها.
٨. ماالوصفات العلاجية التي اقترحها الجاحظ لعيوب الكلام.
٩. هل تعتبر الجهود اللغوية التي قام بها الجاحظ محاولات مبكرة لوضع اللبنات الأولى في علم اللغة النفسي.

منهج البحث :

اتبعت المنهج الوصفي في هذه الدراسة .

فروض البحث :

تناول الجاحظ بعض موضوعات علم اللغة النفسي في كتابه البيان والتبيين

تطرق لمسألة اكتساب اللغة والتعلم اللغوي .

تطرق الجاحظ لقضية عيوب الكلام ، وفسرها ، ووضع طرق علاجها.

تعتبر الجهود اللغوية التي قام بها الجاحظ محاولات مبكرة لوضع اللبنـــات الأولى في علم اللُّغة النفسي .

حدود البحث :

تناول البحث مجالات علم اللغة النفسي والتـــى تتمثـــل فـــي: النظريـــات المعرفية المرتبطة باللغة ، واكتساب اللغة، والتعلم اللغوي ، وعيوب الكلام في كتاب البيان والتبيين للجاحظ .

هيكل البحث :

الفصل الأول:الجاحظ وكتابه البيان والتبيين

المبحث الأول : التعريف بالجاحظ.

المبحث الثاني : التعريف بكتاب البيان والتبيين.

الفصل الثاني : اللغة الإنسانية وعلم اللغة النفسي

المبحث الأول : التعريف باللغة وآراء العلماء فيها.

المبحث الثاني : نشأة اللغة ووظائفها وخصائصها.

المبحث الثالث : علم اللغة النفسي ، تعريفه،ومعالمه في التراث العربي.

الفصل الثالث :الدراسة التطبيقية في كتاب البيان والتبيين

المبحث الأول : مجالات علم اللغة النفسى عند الجاحظ .

المبحث الثاني : عيوب الكلام عند الجاحظ

الخاتمة والنتائج والتوصيات

قائمة المصادر والمراجـــــع

والفهـــــــــــــــارست

الفصل الأول

التعريف بالجاحظ وكتابه البيان والتبيين

المبحث الأول : التعريف بالجاحظ

المبحث الثاني : التعريف بكتاب البيان والتبيين

المبحث الأول

التعريف بالجاحظ

هو أبو عثمان ،عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة اللّيثي الكناني البَصري. ولد سنة (١٥٩هـ)، وتوفّي سنة (٢٥٥هـ). وهو من كبار أئمة الأدب في العصر العباسي. وقد ذكر عبد السلام محمد هرون- الذي اهتم بتحقيق كتب الجاحظ – في الحيوان[١]: ((ويعد الجاحظ إمام من أئمة البيان في العربية وليس من الإسراف والمغالاة أن نعده زعيم البيان العربي نطلق القول في ذلك إطلاقاً...)) .

ولد في البصرة وتوفي فيها. واختلف في أصله منهم من قال :إنه من كنانة، ومنهم من قال:إنه زنجي. كان في وجهه نتوء فلقب بالجاحظ ،عمرَّ نحو ستة و تسعون عاماً.

وذكر الدكتور محمد كرد في كتابه أمراء البيان[٢] "... وإلى هذه القبيلة – كنانة – ينتسب أبو عثمان الجاحظ، وقيل إنه كان مولى أبي القلمَّس عمرو بن القلع الكناني ثم الفقيمي. فهو كناني صليبة خالص النسب، وكان جده فزارة أسود اللَّون،وكان جمَّالاً لعمرو بن القلع، وأطلق على عمرو اسم ((الجاحظ)) لنتوء عينيه، ويقال له ((الحدقيِّ)) كذلك، وكان مشوَّة الخِلقة، فكأنَّ ما ناقص من صورته استوفاه من ذكائه وعقله ، نشأ فقيراً، وتوفّي والده وهو طفل، فلما ترعرع تعلم الخط والقراءة في أحد كتاتيب بلده[٣]. وكان دميماً قبيحاً. جاحظ العينين عرف عنه خِفَّة الروح وميله إلى الهزل والفكاهة، ومن ثم كانت كتاباته على اختلاف مواضيعها لا

---

(١) كتاب الحيوان- للجاحظ – ج (١)، تحقيق: عبد السلام هرون، دار الجبل بيروت،١٩٩٨م، ط، ص (٣) .
(٢) محمد كرد على، أمراء البيان، ج٢، دار الافاق العربية القاهرة، ٢٠٠٣م، ص (٣١٥) .
(٣) نفس المصدر، ص (٣١٦) .

تخلو من الهزل والتهكم.وقد ذكر السندوبي أن الجاحظ ولد في أواخر القرن الثاني للهجرة (الثامن الميلادي). ولم تعرف السنة التي ولد فيها، ولكن المعروف أنه توفي عام ٢٥٥ه. الموافق ٦٨٨م. وإنه عمَّر نحو ستة وتسعين سنة، فيكون قد ولد في حدود ١٥٩هـ الموافق٧٧٥م ، في أوائل خلافة المهدي ابن المنصور[١].

وقال المرزباني: حدَّث المادي قال: حدَّثني من رأى الجاحظ يبيع الخبز والسمك بسجان، قال الجاحظ : أنا أسنَّ من أبي نواس بسنة، ولدت في أول سنة خمسين ومائة وولد في آخرها.وقال ياقوت: قال المرْزباني أبو بكر أحمد بن على: كان أبو عثمان الجاحظ من أصحاب النظَّام، وكان واسع العلم بالكلام، وكثير الشعر فيه ،شديد الضبط لحدوده، ومن أعلم الناس به وبغيره من علوم الدين والدنيا، وله كتب كثيرة مشهورة جليلة. والجاحظ عظيم القدر في المعتزلة وغير المعتزلة من العلماء الذين يعرفون الرجال ويميزون الأمور[٢].أخذ الجاحظ يتلقى العلم في سن مبكرة، فقرأ القرآن وعلوم اللُّغة على شيوخ بلده، وتلقى الفصاحة شفاهةً من العرب في المربد. ومع حال فقره ويتمه دون تفرغه للعلم، فصار يبيع السمك والخبز في النهار، ويكتري دكاكين الورَّاقين في الليل، فكان يقرأ منها ما يستطيع قراءته.

أخذ علم اللغة العربية وآدابها على أبي عبيدة معمر بن المثني مُألف نقائض جرير والفرزدق ، والأصمعي الراوية المشهور صاحب الأصمعيات، وأبي زيد الأنصاري، ودرس النَّحو على الأخفش وعلم الكلام

---

(١) الجاحظ، البيان والبين.ج١ ، تحقيق: حسن السندوبي،ط١، ١٩٩٣م

[٢] أبي عبد الله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي، معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب،دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الجزء الرابع، ط١،ص ص(٤٧٣ – ٤٧٤) .

على إبراهيم بن يسار البلخي النظَّام البحرني ، والحكمة عن ابن جناح.وحدث عن تمام بن أشرس النمري المتكلم، ويزيد بن هرون والسري وابن عبدوية، والقاضي ابن يوسف يعقوب بن ابراهيم والحجاج بن محمد بن حماد ابن سلمة[١].

وروى عنه أبو بكر بن عبدالله بن أبي داؤد السجستاني، ومحمد بن عبدالله ابن الذهاب، ودعامة بن الجهم، وأبو سعيد الحسن بن محمد بن على العدوِيّ وأبو العباس ابن محمد بن يزيد المبرد، ويوت بن الزرع، أبو العيناء محمد بن القاسم، وقال عن نفسه إنه جلس إلى أبي عبيدة الأصمعي ويحيى بن نجيم وأبي مالك وعمرو بن كركرة مع من جالس من رواة البغداديين[٢].

كان الجاحظ متصلاً بالثقافات غير العربية ، كالفارسية والهندية عن طريق أعمال مترجمة أو مناقشة المترجمين أنفسهم، كحنين بن إسحق وسلموية، وربما كان يجيد اللغة الفارسية ، لأنَّه دوَّن بعض نصوص كتاب المحاسن والأضداد بالفارسية.

أما ثقافته، فنجده كثير الاطلاع يميل إلى التطلُّع وحبّ المعرفة حتى ضجرت أمه يوماً من ذلك، وكان مولعاً بالكتب، " حدث أبو هفَّان قال: لم أر قط ولا سمعت من أحب الكتب والعلوم أكثر من الجاحظ ، فإنه لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته كائناً من كان، حتى إنه كان يكتري دكاكين الورَّاقين ويبيت فيها للنظر"[٣].

---

(١) نفس المرجع الجزء الثاني،ص (٣١٦) .

(٢) نفس المرجع ، ص (٣١٦) .

(٣) الجاحظ ، الحيوان ، تجحقيق عبد السلام هرون، ص٥، أنظر أمراء البيان ص (٣١٨) .

ومع حبه للكتب، نجده يعيب أن ينكفئ طالب العلم على الكتب ويترك حلقة الدرس، إذ العلم الحق لا يؤخذ إلا عن معلم، لذا نجده تتلمذ على أيدي كثير من المعلمين العلماء، رغم اختلافه مع بعضهم إلا أنَّه أَقــرَّ بفضــلهم ونقل عنهم وذكرهم مراراً بين طيات كتبه ، ويبدو أن العصر الذي عــاش فيه الجاحظ يعد العصر الذهبي للآداب العربية، فهذا العصر كمــا وصــفه عبد السلام هرون بأنَّه: " عصر هرون والمأمون، والعلوم والآداب والفنون يومئذ تذخر بها بلاد البصرة وبغداد والكوفة وقرطبــة وســائر عواصــم الإسلام... والعلم ولود ، وصاحبه كلما ارتوى منه عاد به في سبيل الظمأ، وحيثما شبع منه رجع به في سبيل الجوع"[١].لقد تكونت لدى الجاحظ ثقافة هائلة، ومعارف طائلة عن طريق التحاقه بحلقات العلم المسجدية التى كانت تجتمع لمناقشة عدد كبير وواسع من الأسئلة، وسرعان مــا حصــل علــى الأستاذية الحقيقية في اللغة العربية بوصفها ثقافة تقليدية، وقد مكنه ذكــاؤه الحاد من ولوج حلقات المعتزلة، حيث المناقشات الأكثر بريقاً، والمهتمــة بالمشكلات التى تواجه المسلمين بالوعي الإسلامي في ذلك الوقــت،ونظراً لسعة علمه وصفه ابن يزداد بقوله: "هو نسيج وحدة في جميع العلوم، علــم الكلام، والأخبار، والفُتيا، والعربية، وتأويل القرآن، وأيام العرب، مع مــا فيه من الفصاحة" لذا فاق علماء عصره لتفننه في جميع العلوم.

مذهبه وأخلاقه:

(١) نفس المصدر، ص(٤) .

يعد الجاحظ من الطبقة السابقة في المعتزلة، وفي هذا المذهب ربي وعليه نشأ، وعنه ناضل وله أَلَّفْ وقد خالف أصحابه في مسائل طفيفة، فسميت فرقته بالجاحظية... وهذا ما قيل في مذهبه(١).

أما أخلاقه ومزاجه فما كان بالسوداوي ولا بالعصبي، وكان أميل إلى التَّفاؤل من التشاؤم، يري الدنيا بعين المغتبط المحبور، لا بعين المغيظ المحنق، يبدو السرور عليه إذا خطب وإذا كتب،تغمره الغبطة وتعتاده الدعابة وخفة الروح فيه جبلة، كما كان يحافظ على أوقاته ولا يضيع منها ما يمكن شغله بالمفيد، بعيداً عن الفوضى كل البعد...(٢).

منهجه العلمي:

انتهج في كتبه ورسائله أسلوباً بحثياً أقل ما يقال فيه إنه منهج بحث علمي دقيق ومضبوط، يبدأ بالشك ليعرض على النقد ويمر بالإستقراء على طريق العموم والشمول بنزوع واقعي وعقلاني. وهو في تجربته وعيانه وسماعه ونقده وشكه وتعليله، كان يطلع علينا في صورة العالم الذي يعمل عقله في البحث عن الحقيقة، ولكنه استطاع برهافة حسِّه أن يسبغ على بحثه صبغة أدبية جمالية تضفي على المعارف العلمية رواءً من الحسن والظرف.

ويقول الدكتور كرد في منهِجهِ: " خلق ناقداً كما يخلق الشاعر شاعراً، وقوة النقد فيه شديدة، مع هذا يعمد إلى الرِّفق، وينصف خصمه من نفسه...(٣)"

---

(٢) محمد كرد، أمراء البيان، ص ص(٣٢٢- ٣٢٣)

(١) نفس المرجع، ص (٣٢٣) .

(٢) أمراء البيان ، ، ص (٣٢٨) .

ويظهر من خلال كتبه أنه سلك نهجاً خالف فيه أدباء عصره، لأَنَّه مزج بين علوم شتى وكتب كتابة متمرس في العلم والأدب وأثَّرت شخصيته على كتاباته.

يقول أحمد أمين: " كتب الجاحظ في كل موضوع تقريباً، من المعلمين إلى بني هاشم، ومن اللصوص إلى الذئاب، ومن الكلام في صفات الله تعالى إلى القيان، ومن القضاة والولاة إلى أمهات الأولاد، ومن الإمامة إلى الحور والعور، فان نحن قلنا كتبه دائرة معارف لزمانه غير مرتبة على أحرف الهجاء، ولا على أي أساس كان ذلك صواباً[1]"

وللجاحظ أسلوب يمتاز به ولا ينسب إلا إليه، وهو أسلوب الجاحظ تظهر فيه شخصيته ظهوراً تاما، حتى تستطيع في غير كثير من عناء أن تعرف أيِّ الكتب له، وأيها ليست له. وهو في تأليفه أنيس محاضر تحرر من قيود كثيرة تقيد بها علماء عصره،تحرر من التزام الجد وثقل الغموض، فهو دائما يخلط جداً بهزل، ويسيغك اللقمة الجافة بكثير من الحلوى، ويجد حتى إذا أعدك للبكاء رماك بنادرة تمعن منها في الضحك... غلبت عليه النزعة الأدبيَّة في كل ما كتب حتى في الحيوان، فهو يتخير خير الألفاظ ، وأحسن التعبيرات، ويفر سريعا من التحقيق العلمي إلى نواحي الأدب من شعر أو حكمة أو نادرة[2].

وفاتـــه:

يتحدث كتاب السِّير عن نهايته في عام ٨٦٨م الموافق٢٥٥هـ ... وقد هده شلل أقعده، وشيخوخة صالحة، عندما كان جالساً في مكتبته يطالع

---

(١) البيان والتبين للجاحظ، تحقيق: حسن السندوبي ومصطفي القصاص، دار إحياء العلوم بيروت،ط١٩٩٣،١م،ج١،ص (١٠) .

(٢) نفس المصدر، ص(١٠) .

بعض الكتب المحببة إليه فوقع عليه صف من الكتب أردته ميتاً، لقد مـــات الجاحظ مدفوناً بالكتب، مخلفاً وراءه كتباً ومقالاتٍ وأفكار ما زالت خالـــدة حتى الآن.

مكانة الجاحظ في التراث اللساني العربي الإسلامي :

" إذ هو العالم اللّغوي والأديب المفكّر ، بل هو المعلَّم الأول في عصره إنَّه الموسوعة العلميَّة المبدعة التى تعلِّم العقل أولاً ، والأدب ثانياً ، من هنا فإنَّ شخصية الجاحظ هي شخصيَّة حيَّة عبر الأجيال " مما يجعـــل قـــراءة الإرث الجاحظي مفتوحة على التجدد والتَنوُّع تعدد البـــاحثين والدارســـين أنفسهم [1].

(١) يوسف منتصر ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والإجتماعية ، جانفي جوان ، ٢٠٠٨م ، العدد الثاني ، الجاحظ في الخطاب اللساني العربي ، جامعة محمد خضير ، بسكره .

المبحـــث الثانـــي

التعـــريف بكتاب البيان والتبيين

البيان والتبيين كتاب في أربعة أجزاء، عدَّه المسعودي أشرف كتـــب الجاحظ، وجعله ابن خلدون في مقدمته أصلاً وركناً من الأصول الأربعـــة التى يقوم عليها فن الأدب إذ يقول: " ... وسمعنا من شيوخنا في مجـــالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين وهي أدب الكاتب لابـــن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النـــوادر لأبي على الغالي البغدادي، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفـــروع عنهـــا وكتب المحدثين في ذلك كثيرة...[١]".

وسماه الجاحظ البيان والتبيين لأَنَّه تحدث فيه عن الكلام متي يكـــون جيداً وفصيحاً، وبليغاً يبين عن معناه ويصادف في النفس قبولاً حسناً[٢].

ويقول أحمد أمين في ضحى الإسلام فـــي وصـــف كتـــاب البيـــان والتبيين: " هو كتاب في الأدب، من آخر ما أَلَّفَ الجاحظ ، مختارات مـــن الأدب من آية قرآنية، أو حديث، أو شعر، او حكمة، أو خطبة، ممزوجـــة بما له من آراء في مسائل عدة". ويذكر ياقوت أن الكتاب فـــي نســـختين " أولى وثانية، والثانية أصح وأجود". ولا أدري أي النسختين هي في أيدينا[٣]. ويقول عبد السلام محمد هرون عندما استعرض كلام ياقوت: فيشتد ســـؤال الأدباء: أين أولاهما وأين الأخرى؟ وكان من صنع الله أني حينما اتجهـــت إلى معارضة أصول الكتاب ببعضها بعضاً، تبيَّن لي في أثناء ذلك نســـخة مكتبة كوبريلي هي أصَحَّ نسخة من أصول الكتاب. ولاحظت أيضـــا أنهـــا

---

(١) إبن خلدون، المقدمة، ج١، دار الجيل بيروت، ، ص(٦١٢) .

(٢) البيان والتبين، للجاحظ ، سبق ذكره، ص(١١) .

(٣) نفس المصدر، ص (١١) .

كثيراً ما تنفرد ببعض النصوص والعبارات التى لا توجد في سائر النسخ أو توجد ولكن بعبارات أخرى مخالفة..... ومهما يكن من شئ فلا ريب أن نسخة كوبريلي هي أصحَّ النسخ وأوثقها وأوفرها نصاً[1].

تقديم الكتاب :

قدَّم الجاحظ البيان والتبيين تقديماً اختلف عن مؤلفاته الأخري بدأه بالقول :" اللهم أنا نعوذ بك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنه العمل ، ونعوذ بك من التكلف لما لا نحسن ، كما نعوذ بك من العجب بما نحسن ، ونعوذ بك من السلاطة والهذر، والعي والحصر ....."

وخلو الكتاب من المقدمة جعل كل من تعَّرض له يحاول أن يوجد الباعث لتأليفه فبعضهم يرى الجاحظ لم يراجع ولم يتمكن من إلقاء نظرة أخيرة عليه ، وآخرون يرون أن للكتاب مقدِّمة تبرز أهميته والغاية المرجوَّة من تأليفه ، ولكنها جاءت في غير موضعها وردت في الجزء الثاني : وهي قوله :" أردنا أبقاك الله ــ أن نبتدئ صدر هذا الجزء الثاني من البيان والتبيين بالرد على الشعوبية في طعنهم على خطباء العرب وملوكهم ، إذ وصلو إيمانهم بالمخاطر واعتمدوا على وجه الأرض بالقِنيِّ والعِصِيّ ، وأشاروا عند ذلك بالقضبان والقِنِىّ ، وفي كل ذلك قد روينا الشاهد الصادق ، والمثل السائر ، وبالتالي فإن الكتاب ثمرة الاهتمام بالخطابة ، وأن موضوعها ةهو أصل الكتاب وقوامه ، ومهما يكن من أمر فإن موضوع الكتاب يكمن في الرد على الشعوبيين ، وعرض النماذج الأدبية الرائعة ، بالإضافة للنزعة التعليمية في الكتاب . إذن تكمن حاجة

---

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هرون، ج١، مكتبة أبن سيناء للنشر والتوزيع القاهرة،٢١٠م، ص(١٢)

العصر الذي عاش فيه الجاحظ للخطابة فهو يعبر عن ضمير أهل عصره وحاجاتهم بمختلف انتماءاتهم السياسية والدينية . ذلك العصر الذهبي للآداب والذي تفوقت فيه الخطابة على الشعر في المنابر ، وقد أورد في ذلك مقولة أبي عمرو بن العلاء التى تبين مقدار مكانة الشاعر عمّا كان عليه في الجاهلية ، ومبررات تفوق الخطيب ، وبين بلاغة الخطبة وبلاغة النحو وأيهما أفضل ، وكل ذلك أن دل إنما يدل على شدة الاهتمام بالخطابة في عصر الجاحظ ، وكيف كان كتابه ترجمان ذلك الاهتمام وأضخم معتقداته .

يقول أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكري في الصناعتين عند الكلام عن البلاغة: " وكان أكبرها وأشهرها كتاب البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ[١].

أما ابن رشيق القيرواني(٣٩٠- ٤٦٣) في العمدة فيقول: " وقد استفرغ أبو عثمان الجاحظ – وهو علاَّمة وقته- الجهد، وصنع كتاباً لا يبلغ جودة وفضلاً ، ثم ما دعي إحاطته بهذا الفن لكثرته، وإنَّ كلام الناس لا يحيط به إلاَّ الله عز وجل".

هذا ويرى عبد السلام محمد هرون في عرضه لمكتبة الجاحظ في تفصيل الكتاب[٢]: إنّ دأب الجاحظ في تأليفه أن يرسل نفسه على سجيَّتها، فهو لا يتقيد بنظام محكم يترسَّمه، ولا يلتزم نهجاً مستقيماً يحذوه، لذلك تراه يبدأ الكلام في قضية من القضايا ثم يدعها في أثناء ذلك ليدخل في قضية آخرى ثم يعود على ما أسلف من قبل، وقد كانت هذه سبيل كثير من علماء دهره، كما إنَّ علو سنِّه وجدَّة التأليف في تلك الأبحاث التى طرقها كل أولئك كان شفيعاً له في ذلك الاسترسال والانطلاق.

---

(١) الجاحظ،البيان والتبيين،تحقيق عبدالسلام هرون،ج١،ص(٥).

(٢) نفس المصدر، والصفحة.

ويقول عبد السلام هرون[1]: إنه لا يوجد أديب نابه في العربية لم يسمع بهذا الكتاب أو لم يفد منه. وقلَّما تجد من المحدثين لم يتمرس بما فيه من أدب. كما إنَّ هذا الكتاب مادة غزيرة استمدها كبار المؤلفين القدماء في مؤلفاتهم كابن قتيبة(٢١٣هـ- ٢٧٦هـ) في عيون الأخبار، والمبرد(٢١٠هـ - ٢٨٧هـ) في الكامل، وابن عبد ربه(٢٤٦هـ - ٣٢٨هـ) في العقد، والعسكري(ت ٤٥٣هـ) في الصناعتين، والحصري(ت ٤٥٣هـ) في زهر الآدب وجمع الجواهر، وابن رشيق(٣٩٠هـ -٤٦٣هـ) في العمدة، وعبد القاهر الجرجاني(ت ٤٧١هـ) في دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة، وأسامة بن منقذ(٤٨٨هـ - ٥٨٤هـ) في لباب الآداب.

وإنَّ ما قدَّمه هؤلاء العلماء من مصنفات في التراث العربي خلَّدت أثراً علمياً أفاد الأجيال السابقة وسيفيد اللاَّحقة بإذن الله.

وتبرز أهمية كتاب البيان والتبين في دراسته لموضوعات علم اللغة النفسي من خلال اهتمامه بالفصاحة، نجد أنّه درس تفصيلاً عيوب الكلام وأبان وأبدع في وصفها وهنا تكمن أهميَّته الكبرى، في أنهّ أهمَّ مصادر علم اللغة النفسي الأساسية، ونؤكد هذا الرأي بما ذهبت إليه الدكتورة وسمية المنصور في دارستها لعيوب الكلام، تقول: " ومن الكتب التى تشكل أهمية كبرى في تتبع ظاهرة عيوب الكلام في البحث اللغوي كتب الأخبار والمختارات الأدبية مثل : البيان والتبيتن، كتاب الحيوان للجاحظ...."[2] ونجدها تبرز أهميته والهدف من كتاب البيان والتبيين، حيث تقول: "

---

(١) نفس المصدر، ص(١١) .

(٢) وسمية المنصور، عيوب الكلام، دراسة لما يعاب في الكلام عند اللغويين العرب، حوليات كلية الآداب جامعة الكويت، الحولية السابعة، الرسالة الثامنة والثلاثون١٤٠٦- ١٩٨٦م، ص (١٠) .

ويتميز كتاب البيان والتبيين بأنَّه يعرض عيوب الكلام فهدفه الأساسي تحقيق البيان وإقامة الفصاحة في الخطابة، ومن ثم كان لابد من تتبعُّ الجوانب المعيقة لذلك. وتذخر ثنايا كتب الجاحظ بالحس اللغوي المتميز جنباً إلى جنب مع الإشراق الأدبي على غير هذا مما يُعرف عند الجاحظ بالنفس الطويل في العرض والتتبُّع، فهو يتكلم عن الفصاحة وأدواتها، وما يحُمد للفصيح، ومميزات الخطابة والخطيب، وما ينبغي لها وما يجب اجتنابه من عيوب الكلام ومفسدات البلاغة والخطابة مستطرداً إلى عيوب النطق الموروثة، ناثراً بين هذا وذاك الخبر و الملح والنوادر(١).

تأليف كتاب الجاحظ:

ذكر المحقق عبد السلام محمد هرون أن الجاحظ ألَّفَه في أخريات حياته حين علت به السن وقعد به المرض، وذكرت أنه أيضاً ألفه بعد كتاب الحيوان إذ إنّني عثرت على نص قاطع في البيان والتبيين يدل على ذلك، وهو قوله: " كانت العادة في كتب الحيوان أن أجعل من مصحف من مصاحفها عشرة ورقات من مقطعات الأعراب ونوادر الاشعارلما ذكرت من عجبك بذلك، فأحببت أن يكون حظ هذا الكتاب في ذلك أوفر إن شاء الله"(٢).

ومن المعروف أن الجاحظ أهدى كتاب البيان والتبين إلى القاضي أحمد أبي داؤد (١٦٠هـ - ٢٤٠ه)، كما أهدى قبله كتاب الحيوان إلى الوزير محمد بن عبد الملك بن الزيات المتوفي سنة ٢٣٣هـ... وأنَّ كلاً منهم أعطاه خمسة الآف دينار(٣).

---

(١) نفس المرجع، ص(١١) .

(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ص(١١) .

(٢) نفس المصدر، ص(١١) .

كان أحمد بن داؤد من بلغاء الناس وفصحاءهم وشعرائهم، وكان قد برع في الفقة والكلام حتى بلغ ما بلغ، وكان من أصحاب واصل بن عطاء المعتزلي فصار بذلك إلى الاعتزال، وكان ذا حظوة عند المأمون، وقد أوصى به أخاه المعتصم فلما صارت الخلافة إلية جعله قاضي القضاة بعد أنْ عزل يحي بن أكثم، ولما مات المعتصم وتولى ولده الواثق حسنت حال أبي داؤد في أول خلافته، فقلد المتوكل ولده أحمد القضاة مكانه، ثم عزل وقلد يحي بن أكثم ثانية وتوفي سنة٢٤٠هـ، وكان بين محمد بن عبد الملك وأحمد بن داؤد منافسة شديدة، وكان الجاحظ ملازماً لمحمد بن عبد الملك خاصاً به، وكان منحرفاً عن أحمد بن داؤد للعداوة التى كانت بين أحمد ومحمد، ولما قبض على محمد هرب الجاحظ فقيل له: لم هربت؟ فقال: " خفت ان أكون ثاني اثنين إذ هما في التُّنور. يريد ما صنع بمحمد وإدخاله تنور حديد فيه مسامير كان هو صنعه ليعذب الناس فيه، فعذب هو فيه حتى مات.

ويروى ياقوت أنه بعد قتل ابن الزيان جيء بالجاحظ مقيداً إلى مجلس أبي داؤد فجرت بينه وبين القاضي محاورة انتصر فيها الجاحظ، وكان من عاقبتها أنّ رضي عنه ابن أبي داؤد وأجازه وقربه إلى نفسه. وهذا الخبر يؤكد لنا أنّ كتاب البيان والتبين لم يظهر إلا بعد سنة ٢٣٣ه. وهي السنة التى قتل فيها ابن الزيات[١].

موضوعات الكتاب:

نجد أن أهم المباحث التى تناولها الجاحظ في كتابه البيان والتبيين تمثلت في البيان والبلاغة، القواعد البلاغية، القول في مذهب الوسط،

(١) الجاحظ،البيان والتبيين، ص (١٢) .

الخطابة، الشعر، والأسجاع، ونماذج من الوصايا والرسائل، طائفة من كلام النساك والقصاص وأخبارهم ، وعرض لبعض كلام النوكي والحمقي ونوادرهم وضروب من الاختبارات والبلاغة.

ولكن مع هذا وفي غياب المنهج العلمي المنظم في الكتاب وتناثر المعلومات وتباعد المباحث فإنه يصعب حصر جميع مباحثه ، ودقيق قضاياه ومع كل ذلك يُعدَّ البيان والتبيين من أكبر الموسوعات العربية في الدرس اللغوي ، وإليه يرجع في تاريخ اللغة العربية وتطور مفرداتها وفروق دلالاتها ، وبلهجات قبائلها وخصائصها والحروف الأكثر دوراً والألفاظ الأكثر توافقاً ، واقتران الأصوات في العربية ، والفوارق الصوتية بين اللغات.

والكتاب مصدر من مصادر الأدب ، إذ يجمع كثير من ألوان البيان وفنونة .. كما يُعد مصدراً للدرس النقدي ، حيث تناثرت فيه الآراء والنظريات النقدية، كما عالج فيه الكثير من القضايا النقدية التى كانت موضع اهتمام النقاد قديماً وحديثاً .

ومن القضايا التى اهتم بها الجاحظ في هذا الكتاب قضية اللفظ والمعني ، حيث تناثرت آراءه فيها حينما قال : " إنَّ المعاني مطروحة في الطريق ، يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي ، وإنما الشأن في إقامة الوزن ، وتخيُّر اللفظ وسهولته ، وسهولة المخرج ...." ونجده يتحيز إلى جانب اللفظ ودافع عن موقفه في هذه القضية .

وتحدث أيضاً عن الألفاظ المفردة وصفاتها ، وعن الحروف أو الأصوات التى تتكون منها الألفاظ ، وبعد تصنيفة للأصوات بشرط المواءمة بين تلك الأصوات المكونة للألفاظ ، ثم تحَّدث عن الأسلوب ،

ومايجب مراعاته عند تخيُّر الألفاظ واحداث الانسجام بينها ، ومجانبة الغريب منها ... أما الخطابة فقد فازت في هذا الكتاب بالجانب الأكبر ولاغرابة فعليها بُنِيَ الكتاب ولأجلها كثرت فصوله وتشعَّبت مباحثه وقد دارت دراسته للخطابة حول ثلاثة محاور هي : النص ، والمبدع ، ثم المتلقي ، أي الرسالة والمرسل والمتلقي . ومن خلال دراسته للخطابة أثبت تفوق العرب على غيرهم من الأمم كالهند والفرس وقد أرَّخ للخطابة العربية وجعلها نموذجاً يحتذيه الناشئة. وتحدث عن شروط الخطبة ونجده يوصى الخطباء بضرورة درس حالات المستمعين وتقدير حالاتهم النفسية ومراعاة المقام ..وإذا كان تعليم الخطابة هو الهدف الذي سعي إليه الجاحظ في كتابه البيان والتبيين؛ فإنه لا يبخل على الناشئة بخبرته ووصاياه التى ترشدهم إلى سبيل التأثير على الجمهور .

نسخ الكتاب ومخطوطاته:

ذكرت من قبل أن للبيان والتبيين نسختان، والنسخة الأجود منهما هي الثانية، وهي نسخة (كوبريلي)، وأما المخطوطات فوصفها عبد السلام محمد هرون[1] بقوله: جعل الجاحظ كتابه هذا في ثلاثة أجزاء، كما نص على ذلك في أوَّل الجزأين: الثاني والثالث... وقد توافر من نسخ الكتاب أربعة مخطوطات: الأولى: نسخة مكتبة كوبريلي المخطوطة بدار الكتب المصرية برقم (٤٣٧٠أدب)، المرموز لها بالرمز (ل). هذه النسخة المصورة في أربعة مجلدات أصلها المخطوط جزءان أثنان ولكنها مع ذلك تنبه في آخر كل جزء من تقسيم الجاحظ على أنه قد انتهى وابتدأ الذي يليه. والجزء الأول في ٣٥٦ صفحة، والثاني في ٣٥٥، في كل صفحة ١٧

(١) نفس المصدر، ص(١٢) .

سطراً وبكل سطر نحو عشرون كلمة. وهذه النسخة القديمة مكتوبة بخط جميل وضبط دقيق، وفي نهايتها: "كمل السفرالثاني، وبتمامه تم الكتاب بأسره بفضل الله وعونه والصلاة على سيدنا محمد وآله في الجمعة السابع من المحرم من سنة ثمانين وستمائة، علقه الفقير إلى الله أحمد بن سلامة بن سالم المعرّي".

(الثاني): نسخة دار الكتب المصرية المخطوطة برقم (٤٧١ أدب) وهي المرموز لها بالرمز (ب)، وهي في مجلد يقع في ٧٠٠ صفحة، وبكل صفحة واحد وعشرون سطراً، وبكل سطر نحو ثلاثة عشرة كلمة، وهي مكتوبة بالخط الفارسي الجميل وليس بها ضبط، وعنوانها عجيب " كتاب البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو يحى (كذا) الجاحظ وهو كتاب جيد النظم والنثر الموضوع على منوال كامل المبرد (كذا) بل يفوق عليه حسناً وبلاغة ". وكتب في صدرها ايضاً ((فيما صار نسخة بالمدينة المنورة على ذمة الكتبخانة الخديوية. ومضاف فيماه مايو سنه ١٨٨٢م))، وكلمة فيماه مكونة من ((في)) العربية و ((ماه)) الفارسية التى بمعنى شهر. فتاريخ هذه النسخة يرجع إلى سنة ١٢٩٩ الهجرية.

(الثالثة): نسخة دار الكتب المصرية المحفوظة برقم (١٨٧٢أدب) وهي المرموز لها بالرمز (ج)، وهي في مجلَّد يقع في٥٧١ صفحة، بكل صفحة واحد وعشرون سطراً،وبكل سطر نحو إحدى عشرة كلمة. وهي مكتوبة بالخط المعتاد، وليس بها ضبط ولكن بها أثر قراءة وتصحيح، وبعض كتابات ذاهبة في النُّدرة بخط المغفور له العلامة محمد محمود بن التلاميذ التركزي الشنقيطي، وقد ألصق بآخرها ورقة بها تعليقات فهرسيَّة لمواضع متفرقة من الكتاب بخطه أيضاً. وفي خاتمة هذه النسخة: " وكان الفراغ

من كتابة هذا الكتاب يوم الخميس المبارك الموافق الحادي عشر محرم الحرام سنة ١٣٠٩ ثلثمائة وتسعة بعد الألف على يد كاتبها الفقير راجي عفو الكريم، محمد سليم".

(الرابعة): نسخة المكتبة التيموريَّة برقم (٤٩٨ أدب)، وهي في مجلَّد واحد به ٥٨٨صفحة مكتوبة بالخط الفارسي المعتاد، وبكل صفحة تسعة عشر سطراً وبكل سطر نحو سبعة عشرة كلمة، وبهوامش هذه النسخة تعليقات كثيرة بخط الناسخ وكتب في صدرها: " من كتب الفقير عبد السلام المويلجي في الثاني من رجب سنة ١٢٨٥" وهذه النسخة مجهولة التاريخ. وقبها عدة أسقاط قيِّد موصفها في اول الكتاب العلامة المغفور له أحمد تيمر باشا، وتلبغ هذه الأسقاط نحو عشرون صفحة من مواضع متفرقة[١]".

هذه هي المخطوطات المحفوظة بالمكتبات والتى عنى العلماء بالأخذ ، منها أمَّا الطبعات السابقة لكتاب البيان والتبيين فنجدها كالآتي:.

١. النشرة الأولى: في مجلدين في ٢٢٢ صفحة و١٩٠ صفحة. وذلك بالمطبعة العلمية من سنة ١٣١١ – ١٣١٣، عني بها حسن أفندي الفاكهاني إلى نهاية الكراسة السابقة من الجزء الأول، وباقي الكتاب بعناية الشيخ محمد الزهراوي الغمراوي، وهذه النشرة مجردة من الضبط. وبها تعليقات يسيرة في الجزء الأول فقط.

٢. النشرة اللثانية في ثلاث مجلَّدات في ٢١٨ صفحة، ١٩٦ صفحة، ٢٣٦ صفحة. وذلك في مطبعة الفتوح، مطبعة الجماليَّة ١٣٣٢ أشرف عليها الأستاذ الكبير السيد محب الدين الخطيب، ونجدها في نهاية الجزء الثالث: " وكتب بعض حواشي هذا الجزء إبراهيم بن محمد الدلجموني

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ص(١٤) .

الأزهري، عقب عنه" وهذه الطبعة بها قليل من الضبط وقليل من التعليق، وتمتاز عن سابقاتها بالإشارة إلى بعض روايات النسخ المخطوطة، ومما يجدر ذكره أن تلك النسخ المخطوطة غير معيَّنة.

٣. النشرة الثالثة والرابعة، وضعها الأستاذ الجليل حسن السندوبي١٣٤٥، ١٣٥١ وكل منهما في ثلاثِ مجلَّدات، وتمتاز الرابعة بكثرة التعليقات والتراجم، وألحق بهما بعض الفهارس.

وهذا وقد طبع كتاب عنوانه " منتخبات من البيان والتبيين" يقع في ثمانين صفحة وذلك بمطبعه الجوائب١٣١٠ ثم بمطبعة الرغائب ١٣٢٨ وكتاب آخر عنوانه " مختار البيان والتبيين" باعتناء الأديبين خليل بيدس، وشريف النشاشيبي. هو في ٢٤٨ صفحة طبع بمطبعة بيت المقدس سنة ١٩٣٣م[١].

ويبدو لي أن المحقق عبد السلام محمد هرون، وقف وقفة تأَمُّلٍ أمام هذه المخطوطات والمنشورات ثم نهج نهجاً جديداً في تحقيق هذا الكتاب (البيان والتبين). إن تحقيق كتب الجاحظ مهمة صعبة ونجد أن عبدالسلام هرون حقق له من قبل كتاب الحيوان فتمرَّس على منهجية الجاحظ في معالجته لأفكار متعددة في ثنايا موضوع واحد. وهناك عوامل أثّرت على منهجيَّة الكتاب هي:

أولها: العصر الذي نشا فيه الجاحظ وألف فيه وهو العصر العباسي وهو عصر النهضة الأدبية الكبرى، عصر العلوم والمعارف وبداية التصوف، وعصر إزدهار النَّشاطات الفكرية والأدبية والمناقشات المذهبية.

ثانيها: كبر سن الجاحظ أثر على منهجيته في تأليف البيان والتبيين.

---

(١) المصدر السابق، ص (١٤) .

ورغم هذه العوامل الاَّ أنَّ ما حواه البيان والتبيين ينم عن خبرة الجاحظ وبراعته التى اعترف بها خصومه، يقول المسعودي، مؤلف مروج الذهب في الجزء الرابع منه عن قيمة كتب الجاحظ :" وكتب الجاحظ – مع انحرافه المشهود – تجلو صدأ الأذهان وتكشف واضح البرهان، لأنه نظمها أحسن نظم، ورصفها أحسن رصف، وكساها من كلامه أجزل لفظ، وكان إذا تخوف ملل القارئ وسآمة السامع، خرج من جدٍّ إلى هزل، ومن حكمة بليغةٍ إلى نادرةٍ طريفة. وله كتب حسان منها البيان والتبيين، وهو أشرفها لأنه جمع فيه المنثور والمنظوم غرر الأشعار، ومستحسن الأخبار بليغ الخطب– مالو أقتصر عليه مقتصر لأكتفى به...[١]".

وقد أثبت الدرس اللغوي الحديث سبق الجاحظ في تناول الكثير من مباحث علم اللغة النفسي والتطبيقي في البيان والتبيين .

بل توصلت كثير من الدراسات في ذلك الاتجاه إلى إثبات التطابق الموضوعي بين الحقائق اللغوية المستخلصة من البيان والتبيين وتلك التى تناولتها كتب علم اللغة الحديثة في علم الأصوات .

(١) البيان والتبيين، ص(٩) .

الفصل الثاني

اللُّغة الإنسانَّية وعلم اللُّغة النَّفسي

المبحث الأول : التعريف باللغة وآراء العلماء فيها .

المبحث الثاني : نشأة اللغة ووظائفها وخصائصها .

المبحث الثالث : علم اللغة النفسي ومعالمه في التراث العربي

المبحـــــث الأول

التعريف باللغة وآراء العلماء فيها

تعريف اللغة :

كلمة لغة على وزن فُعلة من لغوت أي تكلمــت وأصــلها لُغــوة ، واللغوة هي اللهجة وورد في المعجم المفصل في علوم اللُّغة بأنها : " ظــاهرة بسيكولوجية إجتماعية ثقافية مكتسبة ، لا صفة بيولوجية ملازمة للفرد ، تتألف من مجموعة رموز صوتية لغوية اكتسبت عن طريق الاختبار معاني مقــررة في الذهن وبهذا النظـــام الرمزي الصوتي تستطيع جماعة مــا أن تتفــاهم وتتفاعل . (١)

واللُّغوي هو المشتغل بأمور اللُّغة ، نحوها وصرفها وفقهها ... ومــن أشــهر اللغويين العرب : الخليل بن أحمد الفراهيدي ، والكسائي وسيبوبه .

واللُّغة بمفهومها العام هي : وسيلة التعبير والتفاهم والتفاكر بين أفراد جماعــة ما(٢).

وتعتبر اللُّغة من أهم ما وصل إليه الإنسان من وسائل التفاهم ، كما أنها وسيلة المجتمع الأولى لصبغ أعضائه بالصــبغة الاجتماعيــة ، واللُّغــة بمفهومهــا الحضاري تشمل كل ما يستجيب له الإنسان من ألفاظ أو رموز أو إشارات أو دلالات معينة ، ولكن اللغة المنطوقة أو المكتوبة بأبجديات أو حروف متعارف لى دلالتها تمتاز عن غيرها مماسبق ذكره باليُسر والوضوح ودِقَّة الدلالة (٣).

---

(١) محمد التوبخي ، و راجي الأسمر ، الخزانة اللغوية ، المعجم المفصل في علوم اللغة (اللسانيان) راجعه الدكتور إميل يعقوب ، مط دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٣م ، ج الأول ، ص (٣ . ٥)

(٢) سهير محمد سلامة ، علم نفس اللغة ، مط مكتبة الزهراء الشرق ، القاهرة ، ط الأولى ، ٢٠٠٦م ، ص (١٤) .

(٣) زكريا إسماعيل ، طرق تدريس اللغة العربية، مط : دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر ، الإسكندرية، ط، بدون تاريخ ، ص(٧)

ويري الدكتور السيد عبد الحميد سليمان : " أنَّ التوصُّل إلى تَعريف جـــامع لِلُّغة يعد جسر عسير ، إذ اللُّغة ونحن بصدد تعريفها لايعدو حالها بأفضل حال من أي مفهوم إنساني ، والخلاف حول تعريفها هو الشيء الذي يمكن أن نتفق عليه بداءةً ، بينما الاتفاق على تعريف للغة لا يمثل اتفاقاً عاماً فهو أمر عليـــه خلاف " (١) .

وتوافقه الرأي الدكتورة سهير : " إذ تري أنه قد اختلف الباحثون القـــدامي والمحدثون في تعريف اللغة وتحديد مفهومها ، وذلك نظراً لأنّ دراسة اللغـــة تدخل في دائرة اهتمام كل من علماء اللغة وعلماء النفس بكافة فروع هـــذين العِلمين .

ولاغرو : فإنَّ التعريفات التى طرحت للغة تختلف اختلافاً كبيراً من مجال إلى آخر ، وتعتمد على اهتمام العالم وانتمائه وإطاره المرجعـــي *(Form of refrence)* بالإضافة لذلك : فإنّه في داخل نفس المجال نجد أن التعريفـــات التى قدمت للغة تختلف كذلك بسبب تعقد العمليات اللغوية وتعدد الوظائف التى تؤديها اللغة وبسبب ميل مختلف العلماء إلى التركيز على واحدة أو أكثر مـــن الوظائف اللغوية التى تؤديها اللغة عند تعريفهم لها (٢).

ويقول الدكتور جمعة يوسف : " وتعد اللغة أرقي ما لدى الإنســـان مـــن مصادر القوَّة والتفرد ، ومن المتفق عليه الآن أنَّ الإنسان وحده ، دون غيره من أعضاء المملكة الحيوانية ؛ هو الذي يستخدم الأصوات المنطوقة في نظام محدَّد لتحقيق الاتصال بأبناء جنسه ، فاللغة وحدها هي التى تميز هذا الكـــائن المتفرد عن غيره من مخلوقات الله ، ونُسب إلى أرسطو قـــديماً قولـــه :" إنَّ

---

(١) السيد عبد الحميد ة، في علم النفس اللغوي ، اللغة بين علم النفس وحروبها واضطرابها ، مط : عالم الكتب ،القاهرة ، ط ٢٠١٥م ، ص : (٦٢)

(٢) سهير محمد ، علم نفس اللغة ، ص : (١٥) .

الإنسان حيوان ناطق " ولعلَّ المقصود من هذا الوصف أنَّ الإنسان وحده القادر على ترجمة أفكاره ومشاعره إلى ألفاظ وعبارات مفهومة لدى أبناء مجتمعه وعشيرته [١].

هذه الآراء في مجملها آراء للمحدثين من اللغويين العرب في تعريفهم للغة أمَّا قدامي اللغويين العرب ومنهم ابن جِنّي عرَّفها في كتابه الخصائِص في باب القول على اللغة وماهي؟ بقوله:" أمَّا حدَّها (فإنَّها أصوات) يعُبَّر بها كل قوم عن أغراضهم " [٢].

وعرفها ابن خلدون بأنَّها : "ملكة في اللسان " يقول " أعلم أنَّ اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها "[٣].

وذكر الزراد تعريفاً للفقيه اللُّغوي ابن منظور صاحب قاموس لسان العرب " بأنّ اللغة تتبدَّل وتتغيَّر وتتطوَّر حسب تبدُّل الأقوام والأحوال ، وهو يريد بأنَّ اللغة من (اللّغو) (واللّغو)ماكان من الكلام غير المعقود عليه ، واللغو أيضاَ هو (مالا يعتد به) لتقلبه من حال إلى حال " [٤].

يقول ابن منظور :" لغا : اللَّغْو واللغا : السَّقط ومالا يُعتَدَّ به من كلام وغيره ولا يُحصل منه على فائدة ولانفع .

قال الأزهري : واللُّغة من الأسماء الناقصة ، وأصلها لُغوة من لَغا إذا تكلم ، واللُّغة اللِّسنُ ، وحدُّها أنها أصوات يعبِّر بها كل قوم عن أغراضهم

---

(١) جمعة سيد يوسف ، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي ، عالم المعرفة ــ سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون ، الكويت رقم العدد (١٤٥) ، ١٤١٠هـ يناير ١٩٩٠م ، ص : (١١)

(٢) أبو الفتح عثمان بن جني ، الخصائص ، مط دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢٠٠٨م ، تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي ، الجزء الأول ، ص : (٨٧)

(٣) عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، مط : دار الجيل بيروت لبنان ، بدون تاريخ طباعة ، ج الاول ، ص: (٦٠٦)

(٤) الزراد ، د. فيصل محمد خير ، اللغة وإضطرابات النطق والكلام ، مط : دار المريخ للنشر الرياض ، ١٩٩٠ – ٢٠٠٩م ، بدون ط ، ص(٢١)

وهي فُعلة من لغوت أي تكلمت ، أصلها لُغوة ككُرة وقُلــة والهــاء عــوض وجمعها لغًي ... وفي المحكم : الجمع : لُغات ولُغون .... والنسب إليها لُغَويٌّ ، ولَغِي : لَهِج [١].

وفي بعض التعريفات : اللغة نظام من الأصوات المنطوقة وفق مجموعة من القواعد التى تحكمه [٢].

ويمكن القول : أنَّ مَاقَّدمه اللُّغويين العرب في الدرس اللُّغوي لم يسبقهم إليه أحد ، وكانت جهودهم في الدرس اللُّغوي هادفة وصادقة وخالية من تعقيــدات الفلسفة كما نجد ذلك عند الغربيين ؛ ذلك لأنّ الدرس اللّغوي قام ونهض فــي خدمة القرآن الكريم والسنة النبوية والبحث اللغوي نشأ في خدمــة الإســلام ، ويؤكد هذا الرأي الدكتور محمد حماد عبدالعزيز في إحدى محاضراته بكليــة دار العلوم في اللقاء الثالث إذ يقول : " لايوجد إسهام للعرب قبل الإسلام فــي الدرس اللغوي وبعد مجئ الإسلام قدَّم العرب إسهاماً قيما في الدرس اللّغــوي الهدف منه صون القرآن والسنة من التصحيف والتحريف وفهم القرآن والسنة .واعتراف الأوربيون بما قدَّمه اللغويون العرب منذ عصر أبي الأسود الدؤلي ونصر ويحي وجهودهم في تطوير الأبجديه وتوالت جهود علمــاء القــراءات إلى عصر الخليل بن أحمد ١٧٥هــ وسيبويه تلميذه ومازالوا يسبقون العــالم في الدرس اللغوي [٣].

وأخيراً ــ يعرف دي سوسير اللغة بأنَّها : تنظيم من الإشارات والرمــوز التى تعبِّر عن الأفكار .

---

(١) ابن منظور : جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم أبن منظور الأنصاري الأفريقي المصري لسان العرب ، مط : دار الكتب العلمية ، ط٢٠٠٩م ، تحقيق : عامر احمد حيدر ومراجعة عبد المنعم خليل ، ج (١٥) ، ص (٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢)

(٢) د.السيد عبد الحميد ، في علم النفس اللغوي ، ص (٦١)

(٣) د.محمد حماد ، محاضرة علم اللغة العام ، اللقاء الثالث ، التعليم المفتوح كلية دار العلوم .

ويعتبر فردناند دي سوسير بحق مؤسس علم اللغة البنيـــوي وتبلـــورت معالم البنيوية عنده من خلال هذه الأفكار :

أ. اللغة نظام : وينبغي دراستها على هذا الأساس ، أي بالنظر إلى أجزاء هذا النظام .

ب. اللغة ظاهرة اجتماعية : تستخدم لتحقيق التفاهم بين الناس لـــذا ينبغـــي أن نضع في اعتبارنا العلاقة المتبادلة بين الصوت والمعني لأنَّ هذه العلاقـــة أساسية في عملية الاتصال .

ت. دراسة اللُّغة من خلال منظورين : تطوري وثابت في فترة معينة [١].

ويمكن القول أنَّ دي سوسير ميَّز بين ثلاثة مفاهيم هي : الكلام واللّســـان واللغة ، إذن اللُّغة في نظر دي سوسير تنظيم وتعني كلمة تنظـــيم مجموعـــة القواعد التى تحدد استعمال الأصول والصيغ والتراكيـــب وأســـاليب التعبيـــر النحوية والمعجمية [٢].

واللغة عند دي سوسير واقع اصطلاحي مكتسب " ومؤسســـة اجتماعيـــة وهي قائمة بين مجموعة الأفراد ، وتأخذ شكل كل سمات موضوعية في كـــل عقل تقريباً ، أي معجم تتوزع صورهُ بين الأفراد فهي كيان وضعته ممارســـة الكلام عند الأفراد الذين ينتمون إلى بيئة واحدة وهي تنظيم قواعد موجودة في كل عقل ولا وجود للغة بصورة كاملة إلاَّ بين المجموع ويعود تحقيـــق اللغـــة إلى الفرد ، فالكلام عمل فردي يسطر الفرد عليه دائماً[٣].

---

(١) جمعة سيد يوسف ، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي ، ص : (٥١) .

(٢) نفس المرجع ، ص : (٥٢) .

(٣) نفس المرجع ، ص : (٥٣) .

التمييز بين اللُّغة والكلام :

الكلام وظيفة إنسانية غير غريزية " وغير موروثة " الكلام وظيفة ثقافية مكتسبة .

يقول : " حاول ادواردساپير أن يكشف عن طبيعة اللغة ، وأن يقربها إلى الأفهام ، فقارنها بالسير ، وخلاصة رأيه أنَّ " السير " وظيفة إنسانية موروثه بيولوجية ، إنه وظيفة عضوية ، وظيفة غريزية " وطبيعي أن السير نفسه ليس غريزة " (١).

أمَّا الكلام فهو وظيفة إنسانية غير غريزية ، إنه وظيفة مكتسبة إنه وظيفة ثقافية وبناءًا على رأي دي سوسير يمكن التمييز بين اللغة والكلام على الأسس الاتية:

أولاً : يرتبط الكلام باللغة ويتحقق نتيجة لاستعمال اللغة ، ويمكن اعتبار الكلام بمثابة عمل أو مظهر لغوي محدَّد .

ثانياً : اللغة واقع اجتماعي ثابت ، بينما الكلام عمل فردي متغيِّر .

ثالثاً : اللغة هي نتاج يرثه الفرد تقريباً (يعقل من خلال الاكتساب) بينما الكلام عمل إرادي يتَّسم بالذكاء يقوم به الفرد .

ربعاً : اللغة هي الجزء الاجتماعي من عملية الكلام ، فهي تكمن خارج نفوذ الفرد الذي لا يستطيع أن يعدلها ، وبالتالي يمكن أن تدرس مستقلة عنه .

وبما أن اللغة ظاهرة اجتماعية ، والكلام ظاهرة فردية فإنّ الميكانيزمات اللازمة لتفسير الجمل متماثلة لدى كل الأعضاء في المجتمع اللغوي .

---

(١) محمود السعران ، علم اللغة ، مقدمة القارئ العربي ، ص (٥٦) .

سادساً : اللُّغة كامنة أو سلبية ، وبالتالي فإن كل الأنشطة المرتبطة باللغة تنتمي إلى الكلام [١].

ويعلل جمعة سيد يوسف ذلك بقوله : " ولعلَّ تمييز دي سوسير بين التمثيلات الفردية والاجتماعية يرجع إلى تأثُّره بدور كايم " فظاهرة الكلام البشري ينبغي أن تدرك أو تستقبل على أن لها جانبين متميزين ، جانباً موحداً يسمى " اللُّغة " وجانباً عبارة عن أفعال معينة للُّغة تسمي " أفعال الكلام " .

واللُّغة هي المكوّن المعرفي الذي ينبغي أن يعرفه مستخدم اللُّغة في مقابل التكلُّم الذي هو المكوِّن السلوكي لحدث التواصل الصوتي ، كذلك تعتبر اللغة معياراً إجتماعياً وجزءاً من الثقافة بينما التكلم يكتسب جوهرية ودلالة فقط إذا كان يؤكد أو يطابق الممارسات الاجتماعية للُّغة .

وفوق كل ذلك فرأي سوسير يعتبر اللُّغة مكوِّناً فرضياً افترضها المنظّر لكي يفسِّر الدليل الأمبيريقي المستمد من ملاحظته للفرد المتكلم ، وبلفت النظر إلى أن المعرفة بالقواعد لا تعني المقدرة الفعلية على التعبير عنها في صورة تمكنَّ من التواصل والتفاعل مع الآخرين ، ولعلَّ التفاوت بين المعرفة بالقواعد والاخفاق في ترجمتها إلى كلام هو ما يعني علماء النفس وله دلالة سيكولوجية [٢].

أمَّا العالم تشومسكي *Cho msky* (١٩٧٣م) فهو يري في تحديده لمفهوم اللغة : ضرورة الإشارة إلى القواعد النحوية والتركيبات القواعدية وأنَّ المنطوق أو الملفوظ به لا يشترط أن يكون له معني ، حيث يمكن للإنسان

---

(١) جمعة يوسف ، سيكولوجية اللغة ، عالم المعرفة ، العدد ١٤٥ ، ص : (٥٣)

(٢) نفس المرجع ، ص : (٥٣) .

نطق كلمات ليس لها معني ولكن القواعد النحوية وتركيبات القواعد تجعل الجمل المنطوق بها ذات معني ومضمون [١].

وهكذا يتضح : أنَّ علماء اللغة في تعريفهم لها ، إنماً يركزون على مكوِّناتها من حيث تراكيب الجملة وقواعدها وألفاظها وأصواتها ومعانيها .... وتعتبر اللُّغة عندهم نظام من الأصوات المنطوقة أو المكتوبة له قواعد تحكم مستوياته المختلفة الصوتية والصرفية والنحوية التى تعمل في انسجام ظاهر مترابط وثيق في نقل الفكر والخبرات والتُّراث واكتساب المعرفة وأداة لتخزين الفكر في الذاكرة والتخطيط للمستقبل[٢] .

آراء علمـــاء النفـــس في اللُّغة :

تركزت آراء علماء النفس حول العملية اللغوية نفسها والوظائف التى تؤديها اللغة في حياة الإنسان ، ومن هذه التعريفات تعريف كمال الدسوقي ، عرَّفها بأنها : " نسق إشارات صوتيه تستخدم للتواصل بين الناس بمجتمع ما ، وتنضوي على وجود وظيفة رمزية مطابقة ، ومراكز عصبية متخصصة تكوينياً ، وجهاز سمعي صوتي للنطق بالإشارات ... فنسق الإشارات في جماعة إنسانية ما يشكل اللغة أو اللسان وفي قيام أحد الأفراد بالذات بفعل اتصال لغوي معين يشكل القول أو الكلام [٣].

وعند علماء النفس المحدثين هي : " العمليات السيكولوجية التى تنتظم الكلام ، وأنها قدرة ذهنية مكتسبة يمثلها نسق من رموز منطوقة يتواصل بها أفراد مجتمع ما ، يعبِّرون بها عن حاجاتهم ومشاعرهم أي أنهم يؤكدون على أن اللغة تقرن الصوت بالمعني على نحو خاص وامتلاك لغة معينه هو مبدئياً

---

(١) سهير سلامة ، علم نفس اللغة ، ص : (١٧) .

(٢) نفس المرجع ، ص : (١٨) .

(٣) سهير محمد سلامة ، علم نفس اللغة ، ص : (١٨)

بمثابة القدرة على فهم ما يقال وإنتاج إشارة تحمـــل التفسير الدلالي الـذي تريده [١].

وبهذه التعريفات ترى الدكتورة سهير أنَّ هناك حقائق تتضح عن طبيعة اللُّغة تتمثل في الآتي :

أ. أن اللُّغة قدرة ذهنية تتكون من مجموع المعارف اللُّغوية بمـا فيهـا مـن المعاني والمفردات والأصوات والقواعد التى تنظمها .

ب.أن هذه القدرة مكتسبة لا يولد الإنسان بها ، وإنما يولد ولديـه الاسـتعداد الفطري لاكتسابها .

ت.كما أنها تتمثل في نسق متفق أو متعارف عليه بين أفراد الجماعة الناطقـة باللغة [٢].

(١) نفس المرجع ، ص : (٢٠) .

(٢) نفس المرجع ، ص : (٢٠) .

المبحـــث الثاني

نشأة اللغة وخصائصها ووظائفها

حول البحث في نشأة اللغة :

إنَّ طبيعة موضوع علم اللُّغة ، تلك الظاهرة الإنسانية التي هي اللغة ، والتى هي متطورة بطبيعها ، تفرض على الباحث أن يتساءل : كيف تكوّن للإنسان لغة ؟ وكيف توصل الإنسان إلى هذا النظام ؟ توصَّل إليه بنفسه أم أوحي إليه إيحاء .... ذلك الموضوع شغل الناس من قـــديم . والأســـاطير القديمة عند أكثر الجماعات الإنسانية تنسب " وضع اللغة " إلـــى أي مـــن آلهتها أو إلى قوة عليا خارقة .

وفي العصور الوسطي أشتد الجدل بين نظريتين شغلتا المفكرين في نشأة اللغة :

نظرية تري أنَّ " الله " عز وجل هو الذي أوحي إلى البشر باللغة .

ونظرية تذهب إلى أنَّ اللُّغة من اصطلاح الناس وتواضعهم ، وقـــد فســـر اصطلاح الناس على اللغة بأوجه كثيره مختلفة .

والذي يذهب إليه العلم هو أنَّ اللغة ظاهرة اجتماعية كسائر الظـــواهر الإجتماعية ومعني هذا أنها من صنع المجتمع الإنساني ، ولا يعرف مجتمع إنساني منذ أقدم عصر سجَّله التاريخ بلا لغة ناضجة التكوين . ولكن لاتزال مشكلة نشأة اللغة قائمة : ما أقدم مجتمع ظهرت فيه اللغة ؟ وأي لغة كانت أولى اللغات ؟ وهل اللغات الموجودة الآن ترجع إلى أصل واحـــد أم إلـــى أكثر من أصل ؟ وأي اللغات حديث النشأة ؟ . وقد أشرنا فيما سبق إلى أنَّ علم اللغة يميل إلى أن ينحي البحث في نشأة اللغة من مجال دراسته أو هذا هو رأي الغالبية من علمائه . وذلك لأنَّ نشأة اللغة " موضـــوع شـــائك لا

سبيل إلى القطع فيه برأي ، أو الوصول في شانه إلى رأي علمي ، إنَّه بطبيعته موضوع يستحيل على الدراسة العلمية الموضوعية وكل ما يقال فيه فهو من قبيل الفروض التى لا تستند إلى أسس علمية .

- نشأة اللغة متصلة بنشأة الإنسان، أو بنشأة المجتمع الإنساني ، وبالمخ الإنساني ونموه، وبأطوار الحياة الإجتماعية التى مربها الإنسان ، وبالحاجات والدوافع التى يحتمل أن تكون قد ألجأته إلى اصطناع هذا النظام وهو اللغة إلى غير ذلك من أمور لايزال ما نعرفه عنها من حقائق أو معلومات ضئيلاً غاية الضآلة بحيث لايمكن من تكوين رأي " علمي " ومن هنا كانت النظريات أو الفروض التى قدَّمها الباحثون في نشأة اللغة ضرباً من " الميتافزيقيا " ولكن الأبحاث في نشأة اللغة في العصر الحديث لم تتوقف وقد لخّص " أتويسبرسن" في كتابه " اللغة ...." أشهر ما سبقه من نظريات في نشأة اللغة وأتي بنظرية من عنده ، وظهرت بعده نظريات أخر . ولكن علم اللغة يُرجئ الحق العلمي في نشأة اللغة إلى أن يتم جلاء مايكتنفه من غموض قد يكشف عنه تقدم علم الأجناس البشرية ، وعلم الوراثه وغيرها من العلوم الإنسانية ، ولو أنَّ الأرجح أنَّ تقدم هذه العلوم وسواها لن يمكننا آخر الأمر من معرفة الظروف التى نشأت فيها اللغة معرفة يقينية (١).
- للعلماء مذاهب في اللغة ، ومنهم من ذهب إلى :أنها توقيف ووحي وإلهام، ومنهم من قال :أنها اصطلاح وتواضع وتواطؤ . ويقول الدكتور جاسم علي جاسم (٢): " ومن بين هؤلاء الأعلام الذين بحثوا عن هذه الظاهرة وأولها عناية كبيرة في مؤلفاتهم القيِّمة الزمخشري : إذ يقول

---

(١) محمود السعراني ، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، ص (٥٢ – ٥٧) .

(٢) جاسم علي جاسم ، مجلة الجامعة الإسلامية ، العدد ، ١٥٤ ، علم اللغة النفسي في التراث العربي ، ص(٥١٤).

في تفسير قوله تعالي : " تعلمونهن مما علمكم الله" المائدة الآية (١) فقوله عز وجل : " ممَّا علمكم الله " إنَّ هذا العلم إلهام من الله ومكتسب بالعقل ، أو ممَّا عرفكم أن تعلموه " .. ويقول ويشرح ابن فارس هذه الظاهرة بقوله : " إنَّ لغة العرب توقيف " ودليل ذلك قوله جل ثناؤه : " وعلَّم آدم الأسماء كلها" البقرة الآية(٣١) . فكان ابن عباس يقول : علَّمه الأسماء كلها ، وهي هذه التى يتعارف الناس من : دابه ، وأرض وسهل ، وجبل وحمار ، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها والذي نذهب إليه فيما ذكرناه عن ابن عباس ، فإن قال قائل : لوكان ذلك كما نذهب إليه لقال :" ثم عرضهن أو عرضها " فلمَّا قال : عرضهم " عُلِم أنَّ ذلك لأعيان بني آدم ، أو الملائكة ؛ لأن موضوع الكناية في كلام العرب أن يقال لما يعقل : " عرضهم "ولما لا يعقل عرضها أو عرضهّن " . ويذهب ابن جِنِّي إلى هذا الرأي كذلك بحيث يقول : " فَقَوِي في نفسي اعتقاد كونها توقيفاً من الله سبحانه وأنها وحي " .

- وإلى هذا المذهب التوقيفي ذهب عدد من الفلاسفة واللغويين قديماً وحديثاً فمن الفلاسفة ، الفيلسوف اليوناني (هيراكليت) ت ٤٨٠ ق .م

وأبو الحسن الأشعري ، ودبوانالد ، وقد نُسب هذا الرأي لإفلاطون ومن اللغويين : أحمد بن فارس وأبو على الفارسي .

وقد فسر الدكتور عبد الغفار حامد هلال [١] هذا الرأي بالأوجه التالية :

---

(١) عبد الغفار حامد هلال ، العربية خصائصها وسماتها ، مط : مكتبة وهبه ، الطبعة الخامسة ، ٢٠٠٤م ، ص (٢٤)

- أن الله تعالي لقَّن آدم عليه السلام ، أسماء جميع المخلوقات بجميع اللغات التى وجدت إلى الآن ، والتى ستوجد إلى قيام الساعة ، كالعربية والإنجليزية والفارسية وغيرها .
- إنَّ الله تعالي علمه كيفية تقطيع الأصوات وتكوين الكلمات في جميع اللغات .
- إن الله تعالي علَّمه من اللُّغات ما أحتاج إليه في زمانه ثم إن أولاده لما كثروا وتفرقوا في الأرض ، كلَّم كل منهم بلغة من تلك اللغات ونسي ماعداها .

أدِلَّة هذا المذهب :

الأدِلة على هذا الرأي تكاد تكون نقلية ، وإن كان بعضها قد عُرض على أنه دليل عقلي ، أمَّا الأدِلَّة النقليَّة : فالمسلمون أخذوا أدلتهم من القرآن الكريم ونجدها في الآيات القرآنية الآتية :

- قوله تعالى : " وعلَّم آدم الأسماء كلَّها " البقرة الآية (٣١)
- قوله تعالى ") إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ " النجم الآية (٢٣) ؛ فقد ذم سبحانه وتعالي عبدة الأصنام على تسميتهم لها دون وحي إلهي ، وذلك يقضي كون غيرها من الأسماء توقيفياً .
- قوله تعالى : " (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ) " الروم الآية (٢٢) .
- **المذهب الثاني : القائل بأنها اصطلاح وتواضع :**

- منهم الخفاجي ويقول : " والصحيح أنَّ أصل اللّغات مواضعة ، وليس بتوقيف ؛ وإنَّما أوجب ذلك لأن توقيفه تعالى يفتقر إلى الاضطرار إلى

قصده ، والتكليف يمنع من ذلك " ... ويقول أيضاً : " اللُّغة عبارة عمَّا يتواضع القوم عليه من الكلام .... (١)

- ويقول جاسم علي جاسم : إنّ هذه القضية طُرحت ونُوقشت في علم اللغة النفسي الحديث كذلك ، يقول السيد في هذا الصدد : إنّ من مسائل علم اللغة النفسي البحث عن أصل اللغة هل هي توقيف أم اصطلاح ويستشهد برأي تشارلز هوكت الأمريكي الذي يقول : حول دراسة خصائص لغة الإنسان فالقى نتيجة أبحاثه أنَّ أهمَّ سمات هذه اللغة أنها اصطلاحية أو تواضعية . بمعني أنَّ الناس هم الذين يتفقون فيما بينهم على تسمية الأشياء ووضع المصطلحات اللُّغوية ، وأن مفردات اللغة الإنسانية تشير إلى أشياء محسوسة في عالم الواقع والى الافعال التى يؤديها الإنسان أو غيره من المخلوقات كما أنها تعبِّر عن الأفكار الذهنية المجردة وأنَّ الخَلَفْ يتوارثها عن السَّلف ، وتشير إلى أشياء وأحداث بعيدة عن المتكلم زماناً ومكاناً ، إضافة إلى أنَّ لغة البشر تتَّسم بالقدرة على الخلق والابتكار .

- ويعدد الدكتور عبد الغفار حامد هلال مذاهب أخري غير المذهب التوقيفي والوصفي ومنها المذهب الاجتماعي ومذهب الغريزة الكلامية والمذهب الطبيعي وعرض أدلَّة هذه المذاهب ــ ونجده يؤيد المذهب الطبيعي بقوله (٢) : " ولكن الرأي السائد لدي علماء اللغة ، إن تلك النظرية (الطبيعية) مقبولة من الوجهة العلمية ، والاجتماية ، فهي تتفق مع سُنَّة النُّشُوء ، والارتقاء التى تخضع لها الكائنات وظواهر

---

(١) الخفاجي ، أبو محمد عبد الله بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي ، سر الفصاحة ، شرح داؤود غطاشة ، مط : دار الفكر ، ط الأولى ، ٢٠٠٦م ، ص (٤٦) .

(٢) د. عبد الغفار حامد ، العربية ، خصائصها وسماتها ، ص (٣٧)

الطبيعة ، واللغة كائن اجتماعي ، ولم يقم أي دليل يقيني على خطئهـا ، وتتفق وحال الطفل والأمم البدائيـة ، علـى مـا سـبق بيانـه ، أمـا الاعتراضات السابقة فقد أجيب عنها ، بما أزال الشبهة ، وأكد صـواب النظرية ، والأخذ بها على أنها أرجح الأقوال . .."

- هذا على حد تعبيره . أما جاسم علي جاسم ، فيري أن اللغة توقيـف ووحي من الله سبحانه وتعالي ، والدليل على ذلك أن الله تعـالي علَّـم الإنسان مالم يعلم ، ويهبها لمن يشاء ، ويصرفها عمَّن يشاء ولهذا نجـد الفصيح الطليق اللسان ، ونجد الأبكم والأصم ، ولو كانت مواضـعه ، وأنها من عند البشر كما يقول الخفاجي وتشارلز هوكت وغيرهما لمـا وُجد إنسان أخرص ، وهذا يقوي الاعتقاد بأنها توقيف وإلهـام ومنحـة وهبة ربانية من العلي القدير (١).
- ويبدو لي أنّ المذهب القائل بأنها توقيف ووحي وإلهام من الله تعالى هو الرأي الأرجح.

وظائف اللُّغة :

إنَّ طبيعة اللغة وجوهرها لايمكن أن يفهما بوضوح إلاَّ من خلال الدور الذي يؤديانه في حياة الإنسان الفرد ، وحياة الجماعة اللغوية الواحدة ، وحياة الإنسان بصفة عامة ، وقد عبّر أحد الباحثين المحدثين عن هذه الحقيقة بقوله : " إذا أردنا أن ندرس الفكر والنتاج الفكري ، فالواجب أن ندرس اللغـة ، وإذا أردنا أن ندرس اللغة فعلينا أن ندرس عملها في المجتمع (٢).

---

(١) جاسم علي جاسم ، علم اللغة النفسي في التراث العربي ، مجلة الجامعة الإسلامية ، ص ٥١٥.

(٢) جمعة سيد يوسف ، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي ، ص : (٢١)

وقد أجمل كثير من الباحثين الوظائف التى تؤديها اللغة في ثلاثة وظـــائف رئيسية يندرج تحتها وظائف فرعية وذلك على النحو التالي :

الوظيفة الأولى : الوظيفة التواصلية *Communieation Function* :

يري جاكبسون في تحليله للنشاط التواصلي أنّ الاتصال يتكون من ثلاثة عناصر رئيسية هي :

١. متحدث (مرسل) .

٢. مستمع (مستقبل) .

٣. رسالة كلامية (نظام إشاري) .

وفي جميع الحالات يجب أن تكون الرسالة المرسلة مؤثرة في محتواهـــا ومضمونها حتى يستجيب لها المستقبل .. ومن هذا المنطلـــق فـــإنَّ وظيفـــة التواصل التى تؤديها اللغة تتضمن الوظائف الفرعية التالية :

أ. الوظيفة التعبيرية :

فاللغة وسيلة الإنسان للتعبير عن حاجاته ورغباته وأحاسيســـه الداخليـــة ومشاعره وانفعالاته ومواقفه (كالحـــب ، والـــبغض والســـرور ، والحـــزن والصدمة والبؤس) .

ويرى علماء التحليل النفسي أن التعبير باللغة يسهم إسهاماً بالغـــاً فـــي عملية التغريغ النفسي للشحنات النفسية المؤلمة التى تجعل الفرد ينغمس فـــي الأحلام التى تأخذه بعيداً عن الواقع الحاضر في عالم الفكر المجرد [١].

ب. الوظيفة التفسيرية :

بمعني أنَّ فعالية الكلام باعتباره النظام الأساسي للتواصل بـــين البشـــر لايمكن أن تتأكد دون تحقق الوجه الآخر من عملية التواصل ، ونعنـــي بـــه

---

(١) سهير ، علم نفس اللغة ، ص : (٣٥) .

السمع والإدراك وتفسير معاني الكلمات أو الرسالة المنطوقة التي يرسلها المرسل ويتلقاها المستقبل ... وعلى هذا فلا يكفي أن يقال إنّ اللُّغة وسيلة للتعبير أو إنها وسيلة لنقل الأفكار من المتكلم إلى السامع ، بل هناك إلى جانب هذا النقل شيء آخر مقصود هو استجابة السامع وتلبيته لأثر ما أدركه من كلام ، فإن لم تحدث اللغة استجابة من السامع فقد فقدت وظيفتها .

الوظيفة الثانية : الوظيفة المعرفية :

اللغة تعمل على إثارة أفكار وانفعالات ومواقف لدى الفرد وتدفعه لمزيد من التفكير ... فللغة دور في تطوير التفكير لدى الفرد وتمكينه من الانتقال إلى المستويات الأكثر تجريداً والتى لا يمكن التوصل إليها إلاَّ بعد اكتساب اللغة لذلك يهتم علماء النفس بدراسة اللغة في محاولة من جانبهم لإلقاء الضوء على عمليات التفكير والتوضيح للعلاقة بين اللغة والفكر ، وبناء على ما سبق لا يطلق على الكلام لغة بالمعني العلمي إلا إذا أدَّي هذا الكلام وظيفة نفسية قائمة على التركيب والتحليل والتصور ، فالتصور الذهني ضروري قبل أن تصدر اللغة أو يصدر الكلام ، كما أنَّ معرفة اللغة ضرورية للسامع قبل أن تتم عملية التصور عنده ، وفي هذا الإطار فإنّ اللغة تؤدي وظائف فرعية تتمثل في الآتي [١]:

أ. الوظيفة التعليميَّة :

حيث يعتمد التحصيل الدراسي على الاستعمال الفعَّال للغة ، فهي مادة ومحتوى أي منهج دراسي ، وبقدر ما تكون اللغة ومفرداتها واضحة ومستمدة

(١) سهير ، علم نفس اللغة ، ص :(٣٦) .

من القاموس اللغوي للأطفال الذين يوضع المنهج لهم تكون قد ضمنا عـــاملاً مهماً من العوامل المؤثرة في تحقيق أهداف المنهج .

ب. **الوظيفة الثقافية :**

فَلِلُّغة وظيفة استكشافية وإخبارية ووســيلة لنقــل التــراث الحضــاري والثقافي ، إذ تكمن أهمَّية اللغة في عملية الإخبــار والإعــلام عــن قضــايا تاريخية محدَّدة ، أو حوادث حاضرة ، كذلك فإنَّ اللغة مرآة الشعب ومستودع تراثه وديوان أدبه وسجل مطامحه ومفتاح أفكاره وعواطفه وهي رمز كيانــه الروحي وعنوان وحدته ... ولقد نظر علماء الاجتماع إلى اللغة كأنَّها عربــة تحمل إلى الأجيال التالية ما عند الأجيال السابقة من ثقافة وعلم وفن وأدب .

ج. **الوظيفة التخيلية الترويحية :**

إذا كانت اللغة ورموزها تعين الإنسان المفكّر على تحديد تصورات عقله وخياله وكثير مما تضطرب به أحاسيسه كما تعينه على تصوير ما ينتجــه ، هذا العقل وهذا الخيال وعلى التعبير عما تفيض به أحاسيسه من انفعالات وما تمخض عنه قريحته من خواطر وأفكار ، وما يكتسبه من خلال تفاعلــه مــع الحياة من تجارب وما يتلقاه من معارف ــ فإنَّ هذا الرمــز وتلــك الأدوات تساعد الإنسان في صياغة خيالاته وأفكاره وتجاربه في صور أدبية إبداعيــة فكرية سواء في الشعر أو الأدب أو في المقالات والقصص شفوياً أو كتابياً .

الوظيفة الثالثة : الوظيفة الاجتماعية :

وتعد هذه الوظيفة هي الرئيسية ذلك لأن اللغــة أداة الإنســان للتخاطــب والتواصل مع الآخرين والتفاهم وتبادل الأفكار والآراء والمشاعر .

إنَّ جمعة سيد يوسف قال : " ومن خلال اللغة يستطيع الفرد ــ طفلاً وراشداً ــ أن يعبِّر عن رؤاه الفردية ومشاعره وإتجاهاته نحو موضوعات كثيــرة ،

وبالتالي فهو يستطيع من خلال استخدامه اللغة أن يثبت هويته وكيانه الشخصي ويقدِّم أفكاره للآخرين[١].

ومن خلال هذه الوظيفة تعدد سهير محمد وظائف فرعية تنضوي تحتها وهي [٢]:

أ. الوظيفة التفاعلية *(Interpersonal Function)* :

فاللغة تستخدم للتفاعل مع الآخرين ، ويقول جمعة يوسف : تستخدم اللغة للتفاعل مع الآخرين في العالم الاجتماعي (وهي وظيفة " أنا وأنت ")

وتبرز أهمية هذه الوظيفة باعتبار أنَّ الإنسان كائن اجتماعي لا يستطيع الفكاك من أسر جماعته فنحن نستخدم اللغة ونتبادلها في المناسبات الاجتماعية المختلفة ، ونستخدمها في إظهار الاحترام والتأدب مع الآخرين [٣].

ب. الوظيفة التنظيمية *(Regulatory Function)* :

يستطيع الفرد من خلال اللغة أن يتحكم في سلوك الآخرين وهي تعرف باسم وظيفة " أفعل كذا ... ولا تفعل كذا " كنوع من الطلب أو الأمر لتنفيذ المطالب أو النَّهي عن أداء بعض الأفعال .

بمعني آخر إن اللغة لها وظيفة " الفعل " أو التوجيه العملي المباشر كما في الفاظ عقد القرآن في الزواج والأحكام القضائية للقضاة تتحول إلى أفعال .

جـ. وظيفة التوافق الإجتماعي :

كذلك فإنَّ اللغة المستخدمة في مجتمع معيَّن تعطي الفرد شعوراً بالانتماء إلى ذلك المجتمع كما أنها تعاون الفرد على تعديل سلوكه كي يتلائم مع المجتمع فهي تزود الفرد بالعبارات اللازمة لمختلف أوجه التعامل

---

(١) جمعة سيد يوسف ، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي ، عالم المعرفة ، العدد ١٤٥ ، ص : (٢٣) .

(٢) علم نفس اللغة ، ص : (٣٩)

(٣) جمعة يوسف ، سيكولوجية اللغة ، ص: (٢٣) .

الاجتماعي ، وبذلك يحاول أن يُخضِع سلوكه كفرد لما يقتضيه المجتمع تلك هي أهم وظائف اللغة .

خصائص اللغة :

أهم خصائص اللغة تتمثل في الآتي :

١.الخاصية الأولى للُّغة :إنَّها " إنسانية " :

خص الله تعالي بها الإنسان وميزه عن غيره من المخلوقات ، وهي شاملة عنده يعبِّر بها عن جميع مطالبه وحاجاته في جميع جوانب الحياة ويستخدمها في اكساب الخبرات واكتسابها .

٢.اللغة مكتسبة :

يري الدكتور زكريا إسماعيل [١] إنَّ اللغة خلقت ملكتها مع خلق الإنسان ، حيث يستطيع الطفل منذ ولادته بالتعبير عن حاجاته ودوافعه بأصوات مقصودة تهدف إلى إشباع هذه الحاجات ، ثم تتبلور هذه الأصوات في صور رموز مكتسبه لتعبر بشكل أكثر وضوحاً عن مطالب الفرد ، ثم تتطور لغته عن طريق التقليد والمحاكاه وتنمو بنموه الشامل ... فملكة اللغة في حد ذاتها مخلوقة وليست مكتسبة يقول الله تعالي : " فتلقي آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم " ولكن اللغة نفسها هي التى يكتسبها الفرد نتيجة إحتكاكه بأفراد مجتمعه وتنتقل من جيل إلى جيل ، أما عن طريق المحادثة ، أو المخالطة أو الحفظ أو التلقين أو عن طريق التربية من خلال المؤسسات التربوية .

---

(١) زكريا إسماعيل ، طرق تدريس اللغة العربية ، ص : (٢٢)

٣. اللغة أصوات :

وفي هذه الخاصية تشترك جميع لغات الأرض ، والأصوات أوضح مظاهر اللغة وتتكون منها الجمُل والعبارات ... وفي هذه الخاصية يري زكريا إسماعيل أنه لابد أن تتوافر أربعة عناصر أساسية للغة الجيِّدة وهي :

أ. عمل جهاز النطق وفق حركات تعبِّر عن أصوات متعارف عليها .

ب.إنتقال هذه الأصوات بعد التنظيم عبر الهواء .

ت.تلقي آذان المستمعين أو آذان المستمع لهذه الأصوات وتحليلها حتى يمكن التعرُّف على مدلولاتها مادية كانت أو معنوية .

ث.رد الفعل أو النتيجة كتحصيل حاصل للكلام الصادر من المتحدث وقد يكون رد الفعل بلغة مشابهة ، أو بلغة أخري إذا كان هناك مجال للترجمة أو انفعالات معينة كالقبول والرِّضا ، أو الرفض والإحجام وغيرها .

والأصوات منها الصوامت والمتحركة ويتحكم فيها اللسان ووضع الأسنان ودرجة تذبذب الأوتار الصوتية .

٤.اللغة نظام :

والنظام عادة يتكون من مجموعة عناصر وكل منها له دوره في الأداء من حيث الوظيفية والعمل ، فالأصوات لها وظيفة التعبير عن الفكر ، والكتابة لها وظيفة الحفظ والانتقال وكلاهما له وظيفة التفاعل بين أفراد المجتمع الواحد واللغة بناء على النظام والوظيفة تتكون من أربعة عناصر أساسية هي :

أ. الأصوات أو الحروف .

ب.المفردات .

ت.النظام الصرفي .

ث.**النظام النحوي** .

وكل من هذه العناصر له دوره في تشكيل اللغة وتطورها [١].

٥.**اللغة رموز :**

فاللغة إذا كانت شفهية أو مكتوبة تتكون من رموز لها معان فالكلمة أو الجملة أنها هي رموز لمعاني ، وهذه الرموز يعرفها كل من المتكلم والسامع والكاتب والقارئ ــ وبدون هذه المعرفة الثابتة للمعاني يصبح الاتصال (التواصل) صعباً ، إن لم يكن مستحيلاً .

٦.**اللغة عُرفِيَّة :**

العرف هو ما اتفق أفراد المجتمع على صحته وممارسته ، فاللغة بذلك عرفيَّة لأنَّ أفراد المجتمع تعارفوا على ألفاظها ودلالاتها ، وليس شرطاً أن يدل اللفظ على نفس المدلول بالنسبة للغة أخري ، فهناك الألفاظ التى تعني مدلولات معينة في اللغة العربية ولكن لها مدلولات مختلفة في الانجليزية ، مثلاً : إنسان يعني الكائن الحي العاقل المتميز عن الحيوان ،أما في اللغة الإنجليزية *(Insan)* تعني مجنون أو مخبول[٢].

وتري د . سهير محمد سلامة : أن العرف اللُّغوي يتفوق على كل عرف آخر فكثيراً ما تتغير الشعوب من بعض عادتها الإجتماعية خلال فترة زمنية قصيرة نسبياً ، وقد يكون هذا التغيير عن عمد أو قصد ، ولكن من النادر أن يقع ذلك في لغتهم .. فالتطورات اللغوية بطيئه وتدريجية وتظل اللغة محافظة على جوهرها وأصولها [٣].

---

(١) زكريا إسماعيل ، طرق تدريس اللغة العربية ، ص : (٢٤)

(٢) زكريا إسماعيل ، طرق تدريس اللغة العربية ، ص : (٢٦)

(٣) علم نفس اللغة ، ص : (٢٧) .

٧.اللغة متشابهة :

والمقصود بالتشابه إن جميع لغات الشعوب في العالم تصدر من جهاز النطق الإنساني ، كما أنها تشترك فيما بينها بالتركيب والتعقيد والنظام ولخص محمد حسن عبد العزيز أوجه التشابه بين اللغات كما يلي :

أ. كل أطفال العالم قادرون على إكتساب أي لغة إنسانية من لغات البشر بسهولة .

ب.لغات البشر متشابهة لأن المتحدثين بها متشابهون في إدراكهم لما يحيط بهم ويؤكد ذلك أنه يمكن ترجمة أي نص من لغة لأخري .

ت.ليس هناك لغات بدائية ، فكل اللغات متساوية في قدرتها على التعبير عن المفاهيم.

ث.كل اللغات تتألف من أصوات تعُبِّر عن معاني والعلاقة بينهما عرفية .

ج. تتضمن معظم لغات العالم قواعد صوتيه صرفية ونحوية متشابهة في خصائصها[١].

٨.اللغة متغيرة :

بما أن اللغة مكتسبة فإنها متغيِّرة ، بمعني أنَّ الشيء المتعلَّم يتطوّر بتطور العلم والثقافة ، والمجتمع بعاداته وتقاليده .

ولكن يبقي التغير في الفروع أو الشكل وليس الجوهر ويُعني به قواعد اللغة وأصولها خاصة اللغة العربية هنا لأنها لغة القرآن الكريم ويمكن إستنباط قواعد اللغة العربية من القرآن الكريم ومن شواهد الأدب العربي ، ولكن لانملك حق تغييرها لذلك تبقي قواعد اللغة العربية أقرب إلى الثبات من أي لغة أخري .

---

(١) زكريا إسماعيل ، طرق تدريس اللغة ، ص : (٢٧) .

٩. **اللغة معني :**

وهذه الخاصية الأخيرة للغة وهي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالعرف اللغوي ، لأن المجتمع حينما قرر استخدام مجموعة أصوات تشكل كلمات معينة لمدلول ما ، فإنَّ هذا اللفظ دل على شيء معين ، قد لايدل على نفس الشيء في مجتمع آخر ، فاللفظ شيء والمدلول شيء آخر تماماً . ومن جهة أخري قد تعبِّر الكلمة الواحدة على أكثر من معني أو مفهوم من خلال جمل مختلفة وهكذا فإن للإلفاظ معاني غير محددة إذا اتفق أفراد المجتمع على ذلك [١].

أ. إنَّ الله تعالي علمَّ آدم عليه السلام أسماء الكائنات من حوله ، من دابة وأرض وسهل وجبل ، وأشباه ذلك .

(١) زكريا إسماعيل ، طرق تدريس اللغة العربية ، ص : (٢٨)

المبحث الثالث

علم اللغة النفسي ،ومعالمه في التراث العربي

لمَّا كان علم اللغة يوجه اهتمامه إلى الرسالة التى يريد المتكلم أن ينقلها إلى السامع ؛ فإنَّ العمليات العقلية التى تسبق إنتاج الرسالة أو تعقبها ، تقع خارج نطاقه ، وهي بالطبع بعض ما يهتم به علم النفس عند تناول اللغة ، وإذا كان البعض يري أنَّ وظيفة اللغة هي التعبير عن الفكر ؛ فإنَّ في هذه الحالة يمكن اعتبار اللغة جزءاً من علم النفس ، ولمَّا كانت اللغة مظهراً من مظاهر السلوك الإنساني وأهمها فقد لقيت عناية من اللغويين وعلماء النفس على حد سواء ، ومن هنا تتضح نقطة الالتقاء بين هذين التخصصين أو الفرعين من فرع المعرفة البشرية وهي دراسة اللغة (١) .

إن هذا التقارب ولدَّ ما يسمي بعلم اللغة النفسي أو علم النفس اللغوي ، وهذا المصطلح ظهر الاهتمام به بشكل كبير في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٣م ، كما تري سهير أن علم نفس اللغة ميدان نشأ وأتخذ اسمه خلال مؤتمر يتناول موضوعات تدرسها علوم مختلفة عقد بالولايات المتحدة الأميريكية عام ١٩٥٣م ، على الرغم من احتجاج أحد المشاركين البارزين وهو روجر بروان الذي رأي أنَّ الاسم يبدو وصفاً لمن يتحدث لغات دون ترتيب أكثر من كونه ميداناً علمياً ، غير أنَّ هذا العلم ومادته المتنامية قد أصبحا جزءًا ثابتاً في علم النفس والتركيز فيه بصفة عامة هو دراسة جميع أنواع السلوك اللغوي (٢).

---

(١) جمعة سيد يوسف ، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي عالم المعرفة ، العدد ١٤٥ ، ص (١٧) .

(٢) سهير محمد سلامة ، علم نفس الغة ، ص (٤٧)

ويري جاسم أنَّ هذا العلم قديم إلاّ أن الاهتمام به بدأ في الخمسينات في الولايات المتحدة الأمريكية ، عندما أفصح تشو مسكي عن آرائه النقدية حول طبيعة اللغة ووظيفتها وأساليب اكتسابها ومنهج دراستها وتحليلها في كتابه المشهور الأبنية النحوية ، وكذلك من خلال هجومه العنيف على البنيوية والبنيويين ، والسلوكية والسلوكيين في علم النفس وخاصة عالم النفس السلوكي سكنر ، الذين يهتمون بظاهر اللغة لا بعمقها ويفسرون اكتسابها تفسيراً آلياً ، ولايهتمون بالجانب الإبداعي الخلاَّق في اكتسابها واستعمالها (١).

أمَّا موضوع علم اللغة النفسي هو اللغة نفسها ، أي دراسة اللغة والبحث فيها وصفاَ وتحليلاً واكتساباً وتعلماً وتعليماً ، فموضوع علم اللغة النفسي هو نفسه موضوع علم اللغة عند اللغويين المعرفيين الفطريين .

تعريفه عند اللغويين :

علم اللغة النفسي يعرفه علماء اللغة بأنه : " ذلك الفرع من علم اللغة التطبيقي الذي يدرس اكتساب اللغة الأولى ، وتعلم اللغة الأجنبية ، والعوامل النفسية المؤثرة في هذا التعلُّم ، كما يدرس عيوب النطق والعلاقة بين النفس البشرية واللغة بشكل عام.

ومايؤخذ على هذا التعريف إنه يعتبر إن موضوع علم النفس هو النفس البشرية ، ومن المعروف الآن إنَّ علم النفس هو العلم الذي يدرس السلوك حيث إنَّ مفهوم السلوك مفهوم قابل للتعريف الإجرائي والقياس الموضوعي (٢).

---

(١) جاسم علي جاسم ، علم اللغة النفسي في التراث العربي ، مجلة الجامعة الإسلامية ، ص : (٥٠٥) .

(٢) جمعة سيد يوسف ، عالم المعرفة ، ص : (١٨)

ويعتبر التعريف السابق للعالم تشومسكي في رأي سهير سلامة وتقول : " حّدد سلوبين الفارق بين علم اللغة وعلم نفس اللغة أنَّ علماء اللغة يهتمون بالتراكيب أو البني ، في حين يهتم علماء النفس بكيفية اكتساب اللغة وكيفية قيام الأنظمة اللغوية بوظيفتها حينما يتكلم الناس ، أي أن علماء النفس أكثر اهتماماً بالجوانب السلوكية للغة ، ورغم هذا فإنَّ عمل اللغوي يختلف عن عمل عالم النفس ، فعالم اللغة يحاول إيجاد وصف للغة معينة ... أمَّا عالم النفس فيتعامل مع اللغة باعتبارها سلوكاً يمكن إخضاعة للدراسة باستخدام المناهج والأساليب السيكولوجية المختلفة فهو يهتم بالإدراك ، وكيف يختلف الناس في إدراكهم للكلمات أو في تحديد ملامحها الدلالية ، وكيفية اكتساب اللغة وتعلمها ، ودراسة السبل التى يتم بها التَّواصل البشري ، عن طريق اللغة .

ويضم مجال الدراسات النفسية للغة أيضاً كيفية تحويل المتحدث للاستجابة إلى رموز لغوية وهي أما تلك الرموز الصوتية التى تنتقل من المتحدث عبر الهواء إلى المستقبل فهي مجال البحث في علم اللغة ، والنتيجة التى تمخض عنها هذا التقارب بين علم النفس وعلم اللغة ، في دراسة اللغة ، هي ظهور فرع مستقل اطلق عليه اسم علم النفس اللغوي *Psycholinguistics* وهو ما يطلق عليه بعض علماء النفس علم نفس اللغة *Psychology of Language* غير أن علم النفس اللغوي يطلق عليه بعض علماء اللغة : علم اللغة النفسي .

ويري الدكتور السيد عبد الحميد أنه لا تقتصر أهميَّة علم النفس اللغوي على نطاق اللغة فحسب ، حيث يتوقع الكثيرون أن تصبح آليات الذهن اللغوية مدخلاً عاماً لفهم طبيعة الآليات الأخري ، كالإدراك البصري

والحدس وعمليات الذهن الأخري ، وهي المتمثلة في إمكانية الإحاطة باللغة بدءاً من مدخلاتها حتى مخرجاتها ، حيث يمكن لنا تتبع مسارات النشاط اللغوي إبتداءاً من السمع حتى النطق ، لذا يأمل علماء النفس وعلماء الفسيولوجي أن يؤدي كشف النقاب عن النشاط اللغوي لمخ الإنسان ولو جزئياً إلى إلقاء الضوء على السر الذي أودعه الخالق جل وعلا ــ المخ البشري[١] .

تعريف علم نفس اللغة عند علماء النفس :

ذكر الدكتور جمعة سيد يوسف [٢] : " إنَّ هذا الفرع من المعرفة يهتم بالعلاقة بين صور التواصل أو الرسائل وبين خصال الأشخاص الذين يجري بينهم التواصل ، أو هو دراسة اللغة كما ترتبط بالخصال الفردية أو العامة لدى مستخدمي اللغة ، وتشتمل العملية التي يستخدمها المتكلم أو الكاتب في إصدار الإشارات *(Signals)* أو الرموز *(Symbols)* والعملية التى يعُاد بها تحويل هذه الإشارات والرموز وتفسيرها أو ما يسمي فك الترميز *(Decoding)* .

ويري أيضاً : إنَّ علم النفس اللُّغوي مثال حي على التفاعل الوثيق بين مجالين هما : علم اللغة وعلم النفس المعرفي *(Cognitive psychology)* والذي أدّي إلى ظهور مجال جديد ، هذا المجال الجديد عجَّل بتحقيق الفهم العلمي للموضوع المشترك وهو اللغة ، أو اللغة والفكر أو اللغة والمعرفة وهي مجالات يرتبط بعضها ببعضه إلى حد كبير " [٣].

---

(١) السيد عبد الحميد سليمان ، في علم النفس اللغوي ، اللغة بين علم النفس وحروبها وإضطرابها ، ص : (٨١) .

(٢) جمعة سيد يوسف ، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي ، عالم المعرفة العدد ١٤٥ ، ص (١٨) .

(٣) سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، ص : (١٩) .

وخلاصة ما تقدم فهو يري : أنَّ علم النفس اللغوي يعني بشكل أساسي بمهارتين رئيسيتين وكيفية اكتسابهما ، وبمعني آخر يحاول علم النفس اللغوي الإجابة عن الأسئلة الثلاث التالية : السؤال الأول : ماهي العمليات العقلية التى يتمكن بها الناس من قول ما يريدون قوله ؟ (أي إنتاج اللغة) السؤال الثاني : ماهي العمليات العقلية التي يتمكن بها الناس من إدراك وتذكُّر وفهم ما يسمعونه (أي إدراك وفهم اللغة) .

السؤال الثالث : ما الطريق الذي يتبعه الأطفال في تعليم كيفية فهم وإنتاج اللغة في المراحل العمرية المبكرة ؟ (الاكتساب والارتقاء) ولكي نجيب عن هذه التساؤلات ندرك أن الاهتمام بدراسة اللغة يتناسب والوظائف المتعددة التي تؤديها لبني البشر .

مجالات دراسة علم اللغة النفسي :

تنتظم عملية الكلام خمس خطوات متتالية مترابطة يقود بعضها إلى بعض حتى تتم الدائرة بين المتكلم والسامع وذلك على النحو التالي :

١. العمليات العقلية التى تجري في ذهن المتكلم قبل الكلام أو في أثنائه .
٢. عملية إصدار الكلام المتمثل في أصوات ينتجها جهاز النطق .
٣. الموجات والذبذبات الصوتية الواقعة بين فم المتكلم وأذن السامع بوصفها ناتجة عن حركات أعضاء جهاز النطق وبوصفها أثراً مباشراً من آثار هذه الحركات .
٤. العمليات العضوية التى يخضع لها الجهاز السمعي (لدي السامع) والتى وقعت بوصفها رد فعل مباشر للموجات والذبذبات المنتشرة في الهواء .

٥. العمليات النفسية التى تجري في ذهن السامع عند سماعه الكلام واستقباله للموجات وللذبذبات الصوتية المنقولة إليه في الهواء .

وهكذا : فإنَّ دارس اللغة والكلام يعتمد في دراسته على عدة علوم منها فيزيقيا الصوت ، وعلم التشريح ، وعلم وظائف الأعضاء ، وعلم الأصوات وقد استقر لدى غالبية اللغويين إهمال الجانين الأول والخامس وعدم التعرض لهما حيث أنَّ :

- هذين الجانبين نفسيان ، واللغوي مهتم بالأحداث اللغوية المنطوقة بالفعل لا بمصادرها أو آثارها النفسية أو العقلية .
- إنَّ هذه العمليات النفسية العقلية عمليات معقدة وغامضة ، وإن عالم النفس هو الذي يتمكن من تفسير هذه العمليات النفسية والكشف عن أسرارها وما يجري فيها [١]:

أما الدكتور عبده الراجحي فقد أشار في كتابه " علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية عندما تحدث عن أهمَّ مصادر علم اللغة التطبيقي : علم اللغة النفسي وتناول مجالات هذا العلم قائلاً : " مجال هذا العلم هو " السلوك اللغوي " *Language Behaviour"* للفرد ، والمحوران الأساسيان في هذا السلوك هما " الاكتساب اللغوي " *Acquisition* والأداء اللغوي *Performannce* عند الإنسان .

أما الاكتساب اللغوي فهو من أهم قضايا العلم المعاصر وقد فتح آفاقاً هائلة أمام البحث العلمي ، لأنه ينبيْ عن عوامل كثيرة لاتزال خافية علينا ، ذلك أن الاكتساب اللغوي يحدث في الطفولة ، فالطفل هو الذي يكتسب اللغة ، وهو يكتسبها في زمن قصير جداً ويتشابه الأطفال في كل اللغات

---

(١) سهير محمد سلامة ، علم نفس اللغة ، ص : (٥٢) .

في طريقة اكتسابهم للغة مما يدل على وجـــود هـــذه الفطـــرة الإنســـانية المشتركة أو هذا الجهاز اللغوي العام ... وهناك اتفاق أنه توجد علاقة مـــا بين الإكتساب اللغوي والتطور البيولوجي لدى الطفل ومهما يكن من أمـــر فإنَّ هناك اتجاهين أيضاً في فهم الاكتساب اللغوي :

أ. اتجاه استقرائي يرى أنَّ الطفل يجمع ما يتعرض له من ظواهر اللغة ، وتجزئتها ثم يصل إلى تجريدات عنها عن طريق تصنيفها وإجراء تعميمات عليها .

ب. اتجاه استدلالي يري أن الطفل لديه نظرية فطرية عن اللغة مركوزة فيه وهي تتكون من مفهومات موروثة ، أي أنها جـــاهزة مســـبقاً ، وهي مفهومات عامة عن اللغة الإنسانية ثـــم يطبـــق الطفـــل هـــذه المفهومات المسبقة على ما يتعرض له من لغة ، وهناك فرق بـــين الإكتساب والتعلم ، الإكتساب يحدث في الطفولة أما التعلُّم فيحـــدث في مرحلة متأخرة حين يكون الأداء اللغوي قد تكوّن ...

أما الأداء اللغوي فهو المجال الثاني لعلم اللغة النفسي ... وهو ضربان أداء إنتاجي *Proctuctire* والقـــدماء يســـمونه أداءً نشـــطاً أو فـــاعلاً(*Active)* وهو حين ينتج الإنسان اللغة أي حين يكون متكلماً أو كاتباً .

وأداء استقبالي *Receptive* أو كما يسمونه أداءً سلبياً *Passive* وهو حين يستقبل الإنسان اللغة أو حين يكون مستمعاً أو قارئاً .

كما يهتم بالأداء الاستقبالي والعمليات الداخلية والنفسية المؤثرة فيه أيضاً من مجالات علم اللغة النفسي دراسة الأخطاء في الأداء اللغوي سواء كانت أخطاء إنتاجية أم استقبالية والبحث عن العوامل النفسية وراءها [١].

ويبدو لي أن المجالات التى تعرض لها اللغويون في العصر الحديث لعلم اللغة النفسي جاء تفسيرها متأثراً بالنظريات الحديثة السلوكية والعقلية الفطرية خاصة في ظاهرة اكتساب اللغة .

ويمكن القول إنَّ أهم مجالات علم اللغة النفسي تتمثل في الآتي :

المجال الأول : اكتساب اللغة وارتقاؤها :

وهو يُعني بآليات اكتساب الطفل للغة خلال سنوات عمره الأولى وتطور نموه اللغوي من الصياح إلى النطق فالكلام ومراحل النمو اللغوي والتسلسل الزمني لتطور اللغة ونظام تتابعها ، ويركز على المهارات اللغوية وتوقيت ظهورها والعوامل الفردية والبيئية المؤثرة في النمو اللغوي ، والنظريات المفسّرة لاكتساب اللغة والنمو اللغوي عند الطفل .

المجال الثاني : العمليات المعرفية المرتبطة باللغة :

ويركز هذا المجال على العلاقة بين اللغة والفكر ، وآليات إدراك الكلام ، وفهم الأصوات والكلمات المفردة والجمُل ، والمعاني والنصوص ، والأحاديث والخطب وإنتاج الكلام والتعامل به والقدرة على التعبير ، أو تقديم منتج لغوي منطوقاً أو مكتوباً يتفق والقواعد العامة للغة ... ويدخل في ذلك أشكال الأداء اللغوي والكفاية اللغوية .

---

(١) الراجحي عبده الراجحي ، علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية ، مط : دار المعرفة الجامعية ، جامعة الإسكندرية ، ، ط : ٢٠١٢م ، ص (٢٠ ، ٢١) .

المجال الثالث : التواصل اللغوي :

فإذا كانت اللغة أداة تواصل بين الفرد والآخرين ، فإنَّ التواصل الغـــوي يقتضي نقل الدلالات والمعاني بواسطة الإشارات والرموز الصوتية ، ومن ثم يركز علم نفس اللغة على وصف الاتصال والتعريف بالتواصل اللغـــوي وأشكاله ..

المجال الرَّابع : التعلَّم اللُّغوي :

ويقصد به عملية تكوين الإرتباطات اللغوية ، وهي تُعد نوعـــاً مـــن التَّسمية ... ومن ثم فإنَّ دراسة التعلمُّ اللغـــوي تقتضـــي التعـــرُّف علـــى المهارات اللغوية المستهدفة وإختيار المادة المتعلمة ، والتدرج في التعلـــيم وعرض المادة اللغوية ، والتدريب اللغوي .

المجال الخامس : عيوب واضطرابات النطق والكلام :

ويهتم هذا المجال بدراسة المشكلات المرتبطة بالنمو اللغوي والتى تنحرف به عن مساره السوي ، وهذه الاضطرابات والمشكلات اللغوية إذا ما تركت دون معالجة تؤدي إلى مضاعفات وآثار سلبية خطيرة قد تعـــوق بدرجة كبيرة قدرة الطفل على التوافق الاجتماعي ، ونمو الشخصَّية السَوِيَّة وقد يترتب على ذلك مع مرور الوقت اضطرابات تلازم الفرد طوال حياته ومن هذه الاضطرابات : الكلام الطفلي تأخر الكلام ، عيوب واضـــطربات النطق اللجلجة والتمتمة ، الحبسة اللغوية ، اضطرابات الصـــوت ، عـــدم القدرة على القراءة أو الكتابة أو الهجاء ... ومن ثم يهدف هذا المجال إلى الكشف عن هذه الظواهر وتشخيصها والتعرف على أسبابها وعـــلاج كـــل منها وفقاً لإطارها تحقيقاً للنمو اللغوي السليم [١].

---

(١) سهير محمد سلامة ، علم نفس اللغة ، ص : (٥٣)

المجال السادس : تنمية المهارات اللغوية :

يستهدف هذا المجال الأنشطة التى يمكن من خلالها تنمية مهارات الاستماع والتحدث ، والتواصل اللغوي ، وتنمية المفاهيم وتنمية القراءة والكتابة سواء كان ذلك في داخل الأسرة أو في رياض الأطفال أو في المدرسة وتتضمن الأنشطة التى تنمي المهارات اللغوية : القصص والأغاني والتمثيل ، والألعاب التعليمية اللغوية ، والتخاطب والحوار .... الخ .

معالم علم اللغة النفسي في تراثنا العربي :

يقول الدكتور جاسم علي جاسم : " يشير العصيلي في الهامش رقم (٢) قائلاً : " الإهتمام بالناحية النفسية في دراسة اللغة قديم جداً ، وتراثنا العربي الإسلامي غني بالإشارات إلى أهمية هذه العلاقة . ...."

ويقول جاسم : " إنَّ علم اللغة النفسي عند اللغويين العرب القدامي لم يكن مجرد إشارات ، بل هم من أسسوا هذا العلم وخاضوا غماره ، وسبروا أغواره ، ولقد أصَّلَت كتاباتهم في هذا الميدان لنظرية لغوية نفسية رائدة ، وإنْ لم تكن مشروحه في مصنف واحد تحت هذا الاسم ، وإنما تطرَّقوا إليها كلٌّ من جهته ، وحسب اختصاصه واهتمامه ، فالجاحظ وابن سيدة وابن خلدون وابن فارس مثلاً تحدَّثوا عن معظم مسائل هذا العلم وموضوعاته ، وماعلى العالم إلاَّ أن يدقق النظر فيما يقرأه وأن يجمع ماكتبه القدماء ، ويخرجه إلى النور ، ولاينكر عليهم هذه المعارف والجهود الأصلية والقيِّمة التى بذلوها في هذا المجال " (١).

---

(١) جاسم علي جاسم ، علم اللغة النفسي في التراث العربي ، مجلة الجامعة الإسلامية ، العدد ١٥٤ ص : (٥٠٨) .

وقال جاسم أولاً : مفهوم البنية العميقة والسطحية التى تناولها تشومسكي في نظريته أنه تأثر بنظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني ، بطريقة غير مباشرة عن طريق الترجمة وأيضاً تأثر شومسكي في تفسيره لقضية اللغة والفكر بآراء ابن خلدون كما تأثَّر الفيلسوف ديكارت بمدرسة ابن رشد في آرائه عن طبيعة اللغة بأنها عميقة لا سطحية .

ثانياً : تحدث اللغويون العرب عن ظاهرة اللغة هل هي توقيف ووحي وإلهام أم هي اصطلاح وتواضع وتواطؤ ومن القائلين بأنها توقيف : الزمخشري وابن فارس وابن جني .

أما القائلين بأنها اصطلاح : الخفاجي .

ثالثاً : ظاهرة اكتساب اللغة : إن اللغويين القدامي تحدثوا عن الظاهرة في موسوعاتهم العلمية القيمة ومنهم الجاحظ وابن فارس (١).

ويرى جاسم أنَّ النظريات الحديثة المفسَّرة اللُّغة ترجع جذورها إلى التراث العربي القديم ، فالنظرية السلوكية يمثِّلها ابن فارس وابن خلدون يقول ابن فارس عن اكتساب اللغة الأم عند الأطفال بأنَّها : تواجد اللغة إعتياداً كالصبي العربي يسمع أبويه وغيرهما ، فهو يأخذ اللغة عنهم على مر الأوقات ، وتؤخذ تلقناً من ملقن وتؤخذ سماعاً من الرواة الثِّقات ذوي الصِّدق والأمانة ويتقي المظنون " .

ويعزز هذا الرأي ابن خلدون يقوله : " فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة الغربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي إستعمال المفردات في معانيها فيلقنها أولاً ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك ، ثم

---

(١) نفس المصدر ، ص (٥٠٧ – ٥١٥) .

لايزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم إلى أن يعيد ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم ، هكذا تغيّرت الألسن واللغات من جيل إلى جيل وتعليمها العجم والأطفال " .

فالنظرية السلوكية في علم اللغة الحديث تأخذ بهذا الرأي وتنتصر له وتؤكده حيث يقول العصيلي في كتابه علم اللغة النفسي [1]، فإن المبدأ الأساسي الذي إعتمدت عليه هذه النظرية في اكتساب اللغة الأم هو أنَّ الطفل يولد وعقله صفحة بيضاء ، خالية من المعلومات اللغوية ، وأن البيئة التى ينشأ فيها تسطِّر في هذه الصفحة ما تشاء ، سواء كانت بيئة طبيعية كالوالدين والأخوان والأقران أم بيئة تعليمية تربوية كالمدرسة بما فيها من معلمين وبرامج ومناهج " . ويري أصحاب هذه النظرية أنَّ الطفل يكتسب اللغة بالسماع والتلقين والتدريب والمران ، ويعتمد على التقليد اعتماداً كلياً ، وقد يلجأ إلى النقاش أحياناً ، ويؤمنون بأنَّ تصويب المحيطين به لأخطائه اللغوية ــ حين الوقوع فيها ــ يُعَدِّل من سلوكه اللغوي ويقوده إلى اكتساب لغة سليمة صحيحة ، ويتضح لنا من خلال رأي هذه النظرية السلوكية الحديثة تأثرها برأيي ابن فارس وابن خلدون في هذا المجال ، من أنَّ اللغة تكتسب بالسماع والتلقين والتمرين والمحاكاة .

أما نظرية المعرفية الفطرية : ويمثلها ابن خلدون ، حيث يقول في الجزء الثالث من مقدمته ص (١٠١٨ – ١٠١٧): إنَّ الإنسان جاهل بالذات عالم بالكسب ، وقد ميَّز الله تعالي الإنسان عن الحيوان بالفكر ، وهذا الفكر إنما يحصل له بعد كمال الحيوانية فيه ، ويبدأ من التمييز ، فهو قبل التمييز خلو من العلم بالجملة ، معدود من الحيوانات لاحق بمبدئه في

---

(٢) المصدر السابق ، ص (٢٤٨) .

التكوين من النطفه والعلقة والمضغة ، وما حصل له بعد ذلك فهو بما جعل الله له من مدارك الحس والأفئدة التى هي الفكر ، قال تعالي في الامتنان علينا : " وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة " فهو في الحالة الأولى هيولي فقط لجهلة بجميع المعارف ، ثم تكتمل صورته بالعلم الذي يكتسبه بآلائه ، فتكمل ذاته الإنسانية في وجودها ، وانظر إلى قوله تعالي :" اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) " العلق (الآية ــ ٥) أي أكسبه من العلم مالم يكن حاصلاً له بعد أن كان علقه ووضغه فقد كشفت لنا طبيعته وذاته ما هو عليه من الجهل الذاتي والعلن الكبير ، وأشارت إليه الآية تقرر فيه الامتنان عليه بأول مراتب وجوده وهي الإنسانية وحالتها الفطرية والكسبية في أول التنزيل ومبدأ الوحي [١].

فالنظرية المعرفية الفطرية في علم اللغة النفسي الحديث التى يتزعمها تشومسكي تري رأي ابن خلدون وتأخذ به ، وهو أنّ اللغة فطرة خاصة بالإنسان دون غيره من المخلوقات وأن اكتسابها فطرة وقدرة عقلية مغروسة فيه منذ ولادته ، وإن أي طفل يُولد في بيئة بشرية معيَّنة سوف يكتسب لغة هذه البيئة التى يعيش فيها ، بغض النظر عن مستواه التعليمي والاجتماعي ، مالم يكن مصاباً بأمراض أو عاهات عقلية تمنعه من تلقي اللغة أو فهمها أو استعمالها ، واللغة بهذا المفهوم ليست سلوكاً يكتسب بالتقليد والتلقين والتعليم والمران والممارسة وحسب ــ كما يعتقد السلوكيون ــ وإنَّما هي فطرة عقلية معرفية .

(١) جاسم علي جاسم ، علم اللغة النفسي في التراث العربي ، مجلة الجامعة الإسلامية ، العدد ١٥٤ ، ص (٥٢٠)

وذهب الحمداني إلى أنَّ اللغة قدرة فطرية وجزء منها متعلَّم ، توافقه الرأي الدكتورة عطية حيث تقول : اللغة تكتسب وتتعلم ، لا أثر للوراثه فيها ...

ويمكن القول : أنَّ اكتساب اللغة يأتي بعد الولادة ، قال تعالي " وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " النحل (الآية ــ ٧٨) أي أنَّ الله سبحانه وتعالي أخرجكم من أرحام أمهاتكم أطفالاً لاتعلمون شيئاً وأوجد فيكم وسائل العلم والإدراك ، وهي السمع والبصر والقلوب ، لتؤمنوا بالله عن يقين وعلم تام ، وتشكروه على نعمائه باستعمال كل عضو من أعضائكم فيما خلق له من خير (١).

يقول جاسم : إن ماجاءت به النظرية المعرفية الفطرية الحديثة من أفكار وآراء ترجع لابن خلدون "وكأنه يريد أن يقول : أنَّ مكلة اللغة عند الإنسان ليست وراثية أو طبيعية ولكنها تحتاج إلى ممارسة وتدريب وحفظ لكلام أهل اللغة حتى يصبح الناطق بها كأنه واحد منهم وهذه فطرة وقدرة عقليَّة مغروسة فيه منذ الولادة .

أما النظرية الثالثة : وهي النظرية الوظيفية فيري جاسم : أنّ هذه النظرية تولي المعني والوظائف الاتصالية للغة أهمية كبيرة في اكتساب اللغة ، وهذا ما عرضه الجرجاني في نظرية النظم والتى تدل على تأثر الجرجاني ــ بل وتفوقه ــ على تشومسكي في عرضه لنظرية النظم ، والتى تعني معرفة معاني النحو وأحكامه ، بينما يعَّدها تشومسكي معرفة قواعد اللغة (النحو) فقط ويطلق عليها اسم الكفاية : أنَّ الكفاية تعني

(١) نفس المصدر السابق ، ص (٥٢١– ٥٢٢) .

المعرفة بقواعد اللغة والقدرة عل استعمالها بطريقة صحيحة لغوياً ومقبولة اجتماعياً .

لقد أصَّل الجرجاني فكرة البنية العميقة والسطحية في نظرية الـــنظم ، وإنه كان يهتم بالمعني اهتماماً بالغاً وليس باللفظ الذي هو تبـــع للمعنـــي ، ولقد عاب على الجاحظ هذه النظرة السطحَّية للغة ، عندما أغفـــل ظـــاهر المعني وانتصر للفظ انتصاراً عظيماً وهذا مافعله تشومسكي في حديثه عن البنية السطحية والبنية العميقة .

كل ذلك وتراثنا العربي غني بالجهود التى بذلت في علم اللغة النفسي. ونجدهم تحَّدثوا أيضاً عن لغة الحيوان، ولغة الإشارة ، وأمـــراض الكـــلام وأسبابها وعلاجها واقتفى أثرهم علماء اللغة في العصر الحديث [١].

(١) نفس المصدر السابق ، ص (٥٧٢) .

الفصل الثالث

الدراسة التطبيقية فى البيان والتبيين

المبحث الاول : مجالات علم اللغة النفسي عند الجاحظ

المبحث الثانى : عيوب الكلام عند الجاحظ

المبحث الأول

مجالات علم اللغة النفسي عند الجاحظ

أولاً:العمليات المعرفية المرتبطة باللغة :

إذا كان علم اللغة النفسى يهتم بدراسة السلوك اللغوى وبيـــان أثـــر العوامل النفسية فى ظهور أنماط لغوية لا تتسم بالصحة اللغويـــة كـــالغلط والخطأ ، إضافة الى ذلك اهتمامه باكتساب اللغة وفهممها وإنتاجها ، فـــإن النَّاظر إلى حقول الدراسات التطبيقية في علم اللغة يجد أن تلك الفروع ذات جذور تاريخية عميقة فى حقل الدراسات اللَّغوية ، وقد اســـتطاع العلمـــاء الأوائل أن يكشفوا عن البذور الأولى لكل حقل من هذه العلوم .

يقول محاسيس : إن المعالجة لمباحث علم اللغة النفسى في تراثنـــا العربى تواجه تحدِّيات جسام أهمها مايلي :

أولاً : تأخُّر اللُّغويون العرب في بحث هذه الظواهر .

ثانياً : تناثر هذه الظواهر فى أُمَّهات كتب التراث العربي .

ثالثاً : عدم وجود دراسات قديمة متخصصة فى هذا المجال .

ويقول : إن الدراسات اللسانية التى سعت إلى تأصيل البحث اللساني فـــى حقول المعرفة الإنسانية تركت حلقة تاريخية هامة ، كـــان الكشـــف عنهـــا سيؤدي الى قفزة كبيرة فى الدراسات اللسانية ، ومما لا شك فيـــه إن تلـــك الحلقة هى جهود اللغويين العرب ، ولعل السبب فى ذلك عائد إلـــى تـــأخُّر اللسانيين العرب فى العصر الحديث فى اقتحام الدَّرس اللِّسانى [1] .

---

(١) محاسيس ، صهيب سليم محاسيس ، عيوب الكلام في التراث اللغوي العربي ، مط : دار الحامد للطباعة والنشر والتوزيع ، الأردن : عمان ، ط الأولى ، ٢٠١٢م ، ص (١٣ ، ١٤) .

والجاحظ من العلماء الأوائل فى اقتحام الدرس اللغوى ، وهو من الذين وضعوا اللبنات الأولى لعلم اللغة النفسى ، وذلك من خلال اهتمام عصره بالفصاحة والبيان والجاحظ يُعَرِّف البيان بقوله : " والبيان اسم جامع لكل شئ كشف لك قناع المعنى ، وهتك الحجاب دون الضمير حتى يُفْضي السامع الى حقيقتة ، ويحجم على محصوله كائناً من كان ذلك البيان ، ومن أىّ جنس كان الدليل ، لأنَّ مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع إنما هو الفهم والافهام ، فبأي شيء بلغت الاهتمام ، وأوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان فى ذلك الموضع [١] .

وتظهر فى هذا النص إشارات علم اللغة النفسى ومجالاته فى أنَّ الجاحظ درس السلوك اللغوى من خلال تعريفه البيان وفسر مضمون الاتصال اللغوى فى جانبى الإرسال والاستقبال ،أو الاداء اللغوى : الإيجابي والسلبي (القائل والسامع) ومضمون الرسالة الكلامية وما ينبغى أن تكون عليه بقوله : (والغاية التى يجري إليها السامع والقائل ، إنما هو الفهم والإفهام ...) مشيراً الى الغاية من التواصل هو الفهم والإفهام عبر البيان .

لذا ترى وسمية [٢] : إنَّ أهمَّ دواعى بحث الظاهرة اللغوية عند العرب هو إقامة البيان تقول : (ومن هنا كانت الصورة السلبية للبيان معيبة عندهم ، ومذمومة ، بل أنهم درسوا كل ما يشوب البيان ويعوقه ، أو ينفي الفصاحة والبلاغة ، حتى إنهم ينصحون بالصمت إذا افتقد البيان و لا بأس أن يطلب للعىّ الموت إذا لم يحظ بالفصاحة .

---

(١)الجاحظ ، البيان والتبيين ، ص (٧٠) .

(٢) وسمية المنصور ، عيوب الكلام ، دراسة لما يعاب في الكلام عند اللغويين العرب ، حوليات كلية الآداب ، جامعة الكويت ، الحولية السابق ، الرسالة الثامنة والثلاثون ، ١٩٨٦م ، ص (١٢) .

وتقول أيضاً : إن البحث اللغوى عند العرب اهتم بالفصاحة والبيان ، جاء ذلك لأن العرب أمة بيانية ، الشعر حياتها ، ثم جاءت الخطابة لتلعب دوراً فى المجتمع العربى لا يقل أثراً عن الشعر وإن قلت فى رصيدها من المنقول لنا لأسباب كثيرة درسها النقاد ، واستلزم البيان والفصاحة أدوات يستعين بها صاحب البيان على إضافة لسان حتى يتمكن أو يصل الى درجة الإعجاز الذى وصفة السكاكى "إعجازاً أخرس شقشقة كل منطيق" (١)

واقترن البيان بالوضوح وسرعة التأثير لذلك أطلق عليه "الضحى" جاء فى المخصص : ليس لكلامه ضحى أي : بيان : ٢ /١٢٤ .

يقول الجاحظ : "واهتموا بالخطيب ومستلزمات بيانه فللخطابة طقوس وخصائص غير ما نجده فى الشعر ، ولا يمنع هذا فى أن يكون الخطيب فى بعض الأحيان شاعراً إلا أنه لا يقلل من قيمته عندهم كونه خطيباً فقط ، وبين اللسان فقط .

والخطباء كثير ، والشعراء أكثر منهم ، ومن يجمع بين الشعر والخطابة قليل ، ومن الخطباء الشعراء الأبيناء الحكماء قس بن ساعدة الإيادى (٢) .

ثانياً_ التواصل اللغوي :

ومن أهم دواعى بحث الظاهرة اللغوية عند الجاحظ بعد اهتمامه بالبيان والخطابة اهتمامه بجهاز النطق ، يقول : استلزمت عنايتهم بالخطيب العناية بأدواته مثل وصف اللسان بهذه الصفات "حليف اللسان، سليط اللسان، طليق اللسان، حاد كحده السنان ذرب اللسان .

---

(١) المصدر نفسه ، ص (١٦) .

(٢) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج (١) ، ص (٥١) .

ووصفوا الخطيب بالوعواع ، والفعفع الفعفاني والجهوري والـــدهوري والمنطيق ، قال الشاعر :

كقس إياد ، أو لقيط بن معبد *** وعزرة والمنطق زيد بن جندب [١]

وترى وسيمة أن الاهتمام بالخطيب مدعاة للاهتمام بكل ما يعــوق العمليــة البيانية ، ويدنِّسها أو حتى يشوبها بأي شائبة ، من عيوب نطقٍ أو إِســهابٍ مُخِلّ يقول الشاعر مادحاً معاوية :

ركوب المنابــر وثَّابها *** معن بخطبته مجهــر

تريع إليه هوادى الكلام *** إذا ضل خطبتة المهذر [٢]

يستدل الجاحظ بقوله تعالى : وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِــهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ " سورة إبراهيم الاية :(٤) .

لأن مدار الأمر على البيان والتبيين وعلى الإفهام والتفهم ، وكلَّمــاً كــان اللسان أبين كان أحمد ، كما أنه كلما كان القلب أَشدَّ استبانة كان أحمد [٣] .

وهنا إشارة الى أن البيان مرتبط بعمليات سكولوجية تتم وهى العمليات الذهنية المرتبطة بالعقل والتفكير فى الكلام ثم إخراجه بجهاز نطــقٍ ســليم ليصل إلى المتلقى بيناً واضحاً وهو المراد .ويقول الجاحظ مفضِّلاً المــتكلم على السامع : والمفهم لك والمتفهم لك شريكان فى الفضل ، إلا أن المفهــم أفضل من المتفهم ..

يقول صهيب سليم فى تصنيفة لعيوب الكلام : " الأمراض اللغويــة من وجهه نظر الجاحظ" ، بحث ضمن كتاب قضــايا أساســية فــى علــم اللسانيات الحديث ، لمازن الوعر ، وهى جزء من الفصل السادس المعنون

---

(١) نفس المصدر ، ص (٤٩)

(٢) وسمية المنصور ، عيوب الكلام ، ص (١٧)

(٣) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج (١) ، ص (٢٨) .

ببعض البحوث اللغوية العربية القديمة ومكانتها فى علم اللسانيات الحديث ، سعى المؤلف إلى تقديم جهود الجاحظ فـــى دراســـة الأمـــراض اللغويـــة (*speech phobia*) ، ومقاربتها بما جاء فى البحوث اللســـانية الحديثـــة ، مستنداً فى ذلك الـــى معطيـــات اللســـانيات البيولوجيـــة (*Biological linguistics*) واللسانيات الاجتماعية (*sociolinguistics*) لوضع دراسة الجاحظ لعيوب الكلام فى المكانة اللسانية التى تستحقها .

توصل المؤلف الى أن الجاحظ يعد من أوائل اللغويين العرب الـــذين نظروا إلى عيوب الكلام بوصفة موضوعاً لغوياً ، وقد كانت النتائج التـــى قدمها الجاحظ تتقارب إلى حد كبير مع ما قدمتة الدراسات اللسانية الحديثة ... مع أن الجاحظ نظر الى هذة العيوب نظرة بلاغية [١] .ويبدو أنّ نظرية البلاغية هذه تمكن في دراسته لهذه العيوب من خـــلال دراســـة الخطابـــة والبيان وهذا لاينافي كونه أشار إلى آثارها النفسية وتأثيرها في التواصـــل اللَّغوي .

ويمكن القول أن الجاحظ درس الظـــواهر اللغويـــة مـــدركاً أهميتهـــا ودورها فى التواصل اللغوى ، من انطلاق اهتمامه بالبيان لما للبيان مـــن دور فى ذلك العصر وهو العصر العباسى ، وهو العصر الـــذهبى للعلـــوم العربية ، وجدال المناطقة فى أبرز قضية هى : إعجاز القرآن الكريم وهذا ما جعله لم يفرد مصنفاً مخصصاً فيما يبدو لدراسة الظواهر اللغوية .

ثالثاً_ اكتساب اللغة والتعلم اللغوي :

اهتم الجاحظ بقضية اكتساب اللغة ، وكيف يكتســـب الطفـــل اللغـــة ونجده يقول : (والميم والباء أول ما يتهيَّأ فى أفواه الأطفال ، كقولهم : ماما

---

(١) صهيب محاسيس ، عيوب الكلام في التراث اللغوي العربي ، ص (٢٨) .

، وبابا لأنهما خارجان من عمل اللسان ، وإنمـــــــــا يظهــران بالتقــاء الشفتين) [١] .

وأشار جاسم الى ذلك بقوله : إن اللغويين العرب القدامى تحدثوا عن ظاهرة اكتساب اللغة الأم والثانية فى موسوعاتهم العلميــة القيمــة ومــنهم الجاحظ .. ويقول : ومن الظواهر التى عالجها الجاحظ هى اكتساب اللغــة الثانية فى وقت متأخر من العمر ويطلق على هــذه الظــاهرة فــى اللغــة المرحلية او الوسطى (*interlanguage*) ، اسم التحجُّر (*Fossilization*) وهو أن الكبير لايستطيع أن يكتسب اللغة الثانية بشكل صحيح مهما حــاول ذلك [٢] .

يقول الجاحظ : فأما حروف الكلام فإنَّ حكمها إذا تمكنت فى الألسنة خلاف هذا الحكم ، ألآ ترى أن السندى إذا جلب كبيراً فإنه لا يســتطيع إلا أن يجعل الجيم زاياً ولو أقام فى علياء تميم ، وفى سفلى قيس وبين عجــز هوازن – خمسين عاماً .

وكذلك النبطيّ القح ، خلاف المغلاق الذى نشأ فى بــلاد النــبط ، لأنّ النبطي القح يجعل الزاي سيناً فإذا أراد أن يقــول زورق قــال ســورق ، ويجعل العين همزة ، فإذا أراد أن يقول مشمعل ، قال : مشمئِل .

والنخاس يمتحن لسان الجارية إذا ظن إنها رومية وأهلها يزعمون أنها مولدة بأن تقول ناعمة ، وتقول شمس ، ثلاث مرات متواليــات [٣] .وتعــد هذه إشارات لقواعد الاكتساب اللغوي، والتعلم اللغوي.

---

(١) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج ١ ، ص (٦٢) .

(٢) جاسم علي جاسم ، علم اللغة التفسي في التراث العربي ، مجلة الجامعة الإسلامية ، العدد ١٥٤ ، ص (٥١٧) .

(٣) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج ١ ، ص (٦٧) .

المبحث الثاني

عيوب الكلام عند الجاحظ

المصطلح :

مصطلح عيوب الكلام شاع فى العصر الحديث نتيجة لترجمة الدراسات اللغوية الأَجنبية ، فمصطلح عيوب النطق يقابلهُ : (*Speech defect*) وهي العيوب الناتجة عن سبب عضوي .

أما مصطلح : (*Aphasia*) ، فهو خاص بالعيوب الكلامية الناتجة عن إصابة مرضية فى مراكز العملية الكلامية فى الدماغ مثل : الحبسة واللجلجة .

أما الجاحظ ، فسماها (آفات اللسان) ، ونجده يقول : "ثم رجع بنا القول إلى الكلام الأول فيما يعترى اللسان من ضروب الآفات" [١] .

وسماها (الخلة) جاء فى البيان والتبيين : قال عبد الله بن العباس : من لم يجد مس الجهل فى عقله ، وذل المعصية فى قلبه ، ولم يستبين موضع (الخلة) فى لسانه عند كلال حده عن حد خصمه فليس ممن ينزع عن ريبه [٢] .

ومن المحدثين من سماها (علل اللسان) ، (والأمراض اللغوية) [٣] .

وقدمت الدكتورة فاطمة الزهراء أستاذة علم اللغة التطبيقي في إحدى محاضراتها بجامعة السودان كلية الدراسات العليا محاضرة عن عيوب

---

(١) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج ١

(٢) نفس المصدر

(٣) كشاش ، محمد كشاش ، علل اللسان وأمراض اللغة (رؤيه لغوية إكلينكية) وإنعكاساتها الإجتماعية ، المطبعة العصرية ، بيروت لبنان ، ط الأولي ، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م ، ص (٢٨) .

الكلام وصنَّفتها الى عيوب لغة وعيوب كلام واضطرابات كـــلام وعـــدت الاضطرابيب كلاميُ بالغ الخطورة .

وما يُحمد فى هذه المحاضرة أنها درست عيوب الكلام من زاويـــا متعـــددة تتمثل فى الآتى :

١.عيوب الكلام فى الدراسات العربية الحديثة .

٢.عيوب الكلام فى دراسات علم النفس اللغوى .

٣.عيوب الكلام في دراسات علم النفس المرضى .

٤.عيوب الكلام وصعوبات التعلـــــم .

٥.عيوب الكلام في الدراسات الطبيـــة .

٦.عيوب الكلام في اللسانيات التطبيقية .

ومن خلال هذه المحاضرة درست تفصيلاً كل مستوى مـــن هـــذه العيوب ونوع أمراضه ووضعت آراء القـــدماء والمحـــدثين فـــى وصـــف الظاهرة وأسبابها وطرق علاج كل منها حسب طبيعته .

وما يمهنا فى هذة المحاضرة ويتعلق بالبحث هو : عيوب الكلام فـــى اللسانيات العربية وصفت فيه أنواع العيوب الكلامية التى درسها العلمـــاء العرب وهى :

١.عيوب الخطاب .

٢.عيوب اللسان واللهجات المذمومة .

٣.عيوب الكلام الصوتية والنحوية والبلاغية .

٤.الامراض اللغوية – وأشارت الى دراسة الجاحظ لعيوب الكلام بأنها (أَمراض لغوية) درسها الجاحظ من منظور بلاغي .

٥.اللهجات العربية المذمومة .

٦. علل اللسان وأمراض اللغة .

٧. اللحن .

٨. الحبسة وأنواعها .

ويتضح من خلال المحاضرة أن هذه العيوب الكلامية ميدان واسع يدرس من زوايا متعددة ، لغوية ، وبلاغية ، وأدبية ونحوية وإكلينكية ، وكل من هذه التخصصات له إطاره المرجعي في وصف الظاهرة وتشخيصها ومعرفة وضع العلاج المناسب لها .

ذكر الجاحظ عيوب الكلام فى كتاب البيان والتبيين وهي : [١]

العى ، والحصر ، والسلاطة ، والبكى ، والهذر ، واللجلجة ، والتمتمة ، واللثغة ، والفأفأه ، والحبسة ، والحكلة ، والرتَة ، واللفف ، والعجلة ، والتشادق ، والثرثرة ، والتقعير ، والتقعيب ، والفيهقة ، النصب ، والفداد ، والحكلة ، واللكن ، والعقلة ، واللحن ، والطمطمة ، والغمغمة .

ويمكن القول أن هذه العيوب هى التى ذكرها الجاحظ فى كتابه البيان والتبيين .

تعريفاتها :

١. العى : وهو العجز عن التعبير اللفظى بما يفيد المعنى المقصود .

٢. الحصر : وهو العي فى المنطق ، وان يمتنع عن القرآءة فلا يقدر عليها .

٣. السلاطة : وهى حدَّة اللسان .

٤. الهذر : كثرة الكلام فى الخطأ .

٥. التقعير : هو ان يتكلم بأَقصى قعر فمه .

---

(١) المصدر نفسه ، ص (٢٩) .

٦. المنحوب : الجبان ضعيف القلب .

٧. التقعيب : هو في الكلام كالتقعير فيه .

٨. المتفيهقون : الذين يتوسعون في الكلام ، ويفتحون بـــه أفـــواههم ، مأخوذة من الفهق ، وهو الامتلاء والاتساع .

٩. الفداد : الجافى الصوت والكلام وجمعه فدادون .

أسباب عيوب الكلام التى يراها الجاحظ :

هذه العيوب لا بد لها من أسباب ، وتكمن أسباب هذه الأمـــراض فـــى الآتى :

١. عيوب ناتجة عن إصابة أو علة فى جهاز النطق .

٢. عيوب ناتجة عن عاهة عقلية أو ذهنية .

٣. عيوب موروثة واجتماعية .

ونجد من المحدثين : جاسم يســـمى الأول : (عيـــوب عضـــوية) ، والثانى : (عيوب نفسية) ، والأخير : (عيوب اجتماعية) .

عيوب الكلام الناتجة عن أسباب نفسية :

إن التكلف يُعدُّ من عيوب الكلام ، ومثله أيضاً السلاطة والهذر والعى والحصر وهى من معيقات البيان وتؤثر تأثيراً بالغاً فى الرســـالة الكلاميـــة ولذا نجد أن الجاحظ تناولها فى بداية كتابه البيان والتبيين ، وتعوَّذ بالله من هذه العيوب بقوله : اللهم إنا نعوذ بك من فتنة القول ، كما نعوذ بـــك مـــن فتنة العمل ، ونعوذ بك من التكلف لما لا نحسن كما نعوذ بك من العجـــب بما نحسن ، ونعوذ بك من السلاطة والهذر ، كما نعـــوذ بـــك مـــن العـــى

والحصر وقديماً ما تعوذوا بالله من شرهما ، تضرعوا الى الله فى السلامة منهما [١] .

فهو يقول : وهم وأن كانوا يحبُّون البيان والطلاقة والتعبير والبلاغة ، والتخلص والرشاقة ، فإنهم كانوا يكرهــون الســلاطة والهــذر والتكلــف والاسهاب والإكثار [٢] .

قال الجاحظ مستشهداً :

أعذنى ربي من حصرٍ وعيّ *** ومن نفسٍ أعالجها علاجاً

وقال الهذلى :

ولا حصــرُ بخطبتـــــه *** إذا ما عـــزّتِ الخطبِ [٣]

وقد ذكرت وسميَّة عندما تحدثت عن مصطلحات المنطق الفاسد : ذكرت العي والحصر وقالت : "وهى عيوب عارضة ، تخص صــاحب الكــلام ، حادثة من المقام الذى يقال فيه الكلام ، والحالة النفسية التى عليها المــتكلم من خجل وانقباض ، وتهيب للموقف ، أو تلك الحاصــلة فــى الشــيخوخة ومنها العي والحصر والبكي" .

ويقول الجاحظ : "البيان بصر والعيّ عمى ، والبيان من نتاج العلــم والعيّ من نتاج الجهل" .

أما البكي : البكء أصله قلَّة اللبن ، ويطلق على حالات العجز عــن السيطرة على الكلام يقول الجاحظ : "بكي اللسان غير موصوف بالبيان مع علمه بتمييز الكلام وقال الشاعر :

---

(١) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ص (٢٣) .

(٢) نفس المصدر ، ص (٢٣) .

(٣) نفس المصدر ، ص (٢٣)

وقد يقرض الشعر البكي لسانه ** وتُعي القوافي المرء وهو خطيب [1]

إذن هذه الأمراض اللغوية تؤثر فى الرسالة الكلامية ، وذلك لأنَّ المريض بها مصحوب منطقه بالأخطاء والعيوب .

يقول الجاحظ : "وضرب الله مثلاً لعيّ اللسان ورداءة البيان ، حين شبّه أهله بالنساء والولدان فقال تعالى: " أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ " (الزخرف الاية : ١٨) [2] .

ذلك أن العي ردىء البيان عاجز عن إدراك حاجته بالنمط السليم ، لذلك يقول الجاحظ : "وليس حفظك الله مضرَّة سلاطة اللسان عند المنازعة ، وسقطات الخطل يوم إطالة الخطبة بأعظم مما يحدث للعى من اختلال الحُجَّة : وعن الحصر من فوت درك الحاجة " [3] .

ونجده يبين أنّ الناس ويقصد بهم المستمعين يذمون الحصر أو يؤنِّبون العيّ عند حديثه ، لما فيه من عيوب تمنعه البيان .

ويقول الجاحظ : "والناس لا يعيَّرون الخرس ولا يلومون من استولى على بيانه العجز ، وهم يذمون الحصر ، ويؤنِّبون العي ، فإن تكلفا مع ذلك مقامات الخطباء ، وتعاطيا مناظرة البلغاء ، تضاعف عليهما الذم ، وترادف عليهما التأنيب [4] .

ومن الأمراض أيضاً : الهياب وهو كالعي ومنها أيضاً الفعفعة والمريض بها يسمى الفعفعاني وهى من ضروب العي أيضاً .

---

(١) وسمية المنصور ، عيوب الكلام ، ص (٢٧) .

(٢) البيان والتبيين ، ص (٢٩) .

(٣) نفس المصدر ، ص (٢٩).

(٤) نفس المصدر ، ص (٢٩) .

وذكر الجاحظ التشادق والتقعير بأنها عيوب كلامية إلا أَنَّ المتشدِّق والمتقعر فى الكلام يمكن أن يكون خطيباً .

ويبدو لى أنَّ ما أباه الجاحظ ، من هذه الفئة هو التكلف والتزيد ، كيف لا يأباه ؟ وقد ذمه النبى عليه الصلاه والسلام بقوله: "أبغضكم إلىَّ الثرثارون المتفيهقون " ، وقال صلى الله عليه وسلم : "إيّاي والتشادُق" .

ويقول الجاحظ : "ثم اعلم أبقاك الله إن صاحب التشديق والتقعير والتقعيب من الخطباء والبلغاء مع سماحة التكلُّف ، وشنعة التزيد أعذر من عيّ يتكلم الخطابة ، ومن حصر يتعرض لأهل الاعتياد والدُّربة ومضدار اللائمة ومستقر المذمَّة ، حيث رأيت بلاغة يخالطها التكلف وبياناً يمازجة التزيُّد" (١) .

ويقول : "وان كان النبى صلى الله علية وسلم قال : إيَّاي والتشادق " وقال : أبغضكم إليّ الثرثارون المتفيهقون" وقال : "من بدا جفا " وعاب الفدادين ، والمتزيدى فى جهارة الصوت وانتحال سعة الأشداق ، ورحب العلاصم ، وهدل الشِّفاه .... الى أنْ يقول "فمن أسوأ حالاً – أبقاك الله – ممن يكون من المتشدقين ، ومن الثرثارين المتفيهقين ، ممن ذكره النبى صلى الله علية وسلم نصاً ، وجعل النهي عن مذهبه مضرةً ، وذكر مقته له وبغضة إياه (٢) .

ووصف الجاحظ اللحن الذى يقع فيه المصابون بهذه الأمراض بأنّهُ أقبح لحن يقول : "ثم أعلم إن أقبح اللحن لحن أصحاب التقعير والتقعيب والتشدق والتمطيط والجهورة والتفخيم ..." (٣) .

---

(١) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ص (٢٩)

(٢) نفس المصدر ، ص (٣٠)

(٣) نفس المصدر ، ص (٣٠)

عيوب الكلام الناتجة عن أسباب اجتماعية :

الإنسان بطبعه كائن اجتماعى يعيش فى جماعة يتفاهم ويتواصل معها باللُّغة ، وإذا شذّ عن هذ الفطرة تأثر سلوكه اللغوى ، فالعزلة ، والصمت هما من أكثر الأسباب تؤديان الى انحراف اللسان وإصابته بالعلل كالفأفأة والعقلة واللكنة واللجلجة .

قال الجاحظ : وقال محمد بن سلام الجمحي : "كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا رأى رجلاً يتجلجل فى كلامه قال : خالق هذا وخالق عمر بن العاص واحد" .

ويقال فى لسان حسبة ، اذا كان الكلام يثقل عليه ولم يبلغ حد الفأفأه والتمتام ، ويقال فى لسانه عقلة ، إذا تعقل عليه الكلام ، ويقال فى لسانه لكنة ، إذا أدخل بعض حروف العجم فى حروف العرب وجذبت لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأول .

فإذا قالوا : فى لسانه حكلة ، فإنَّما يذهبون إلى نقصان آلة المنطق ، وعجز أداة اللَّفظ حتى لا توفر معانيه إلا بالاستدلال .

وقال رؤبة بن العجاج :

ولو أنَّنِى أوتِيتُ عِلْم الحُكْل *** علم سليمان كلام النمل

وقال محمد بن ذؤيب : فى مديح عبد الملك بن صالح :

ويفهم قول الحكل لو أنَّ ذرَّةً *** تساور أخرى لم يفته سوادها

ويبدو لى أن الجاحظ فسَّر الحُكلة بأَنَّها مرض وراثى ناتج عن علة فى اللسان ومخالطة العجم .

وقال الجاحظ : قال الأصمعي : إذا تتتمتم اللسان فى التَّاء فهو تمتـــام ، وإذاَ تتعتع فى الفاء فهو فأفأء ، وأنشد لرؤبة بن العجاج :

ياحمد ذات المنطـــق التمتام *** كـــأن وســـواسك فـــى اللمام

حديث شيطان بني هنّام

وقال كذلك أبو النجف بن عطاء الخطفي :

لســـت بفأفأء ولا تمـــــتام *** ولا كثيـــر الهجر فى الكـــلام [1] .

هكذا فسر الجاحظ الفأفأة والتمتمة .

وتحدث عن اللفف : واللفف عيب كلاميّ ناتج عن الصمت الطويـــل لزوم العزُلة فى الحديث ويقول الجاحظ : وقال أبو عبيدة : اذا أدخل بعض كلامه فى بعض فهو ألفَ وقيل بلسانه لفف واسند لأبي النجف الرجز .

كأنّ فيه لففاً إذا نطـــــق *** من طـــول تحبيسٍ وهمٍّ وأرق

كأنَّه لمَّا جلس وحدهُ ولم يكن له من يكلمه وطال عليه ذلك أصابه لفف فى لسانه .

وكان يزيد بن جابر قاضى الأزارقة بعد المقعطل يقال له : الصـــموت لأنّه لما طال صمته ثقل عليه الكلام ، فكان لسانه يلتوى ، ولايكاد يبـــين ، يقول الجاحظ : ويروي محمد بن الجهم أن مثل ذلك اعتراه أيـــام محاربـــة الزط ، من طول التفكير ولزوم الصمت [2]

اللثغة عند الجاحظ :

اهتم الجاحظ بدراسة اللثغات ، وحروفها وأصـــنافها ، ويجـــيء هـــذا الاهتمام انطلاقاً من اهتمامه بالخطابة قال أبو عثمان وهـــو يتحـــدث عـــن

---

(١) الجاحظ ــ البيان والتبيين ، ج ١ ، ص(٤٦)

(٢) نفس المصدر ، ص (٤٦)

حروف اللُّثغة : "وهى أربعة أحرف : القاف والسين ، واللام والراء ، فأما التى على الشين المعجمة فذلك شئ لا يصوره الخط لأنَّه ليس من الحروف المعروفة ، انما هو من مخرج من المخـــارج والمخـــارج لا تحصـــى ولا يوقف عليها ، وكذلك القول فى حروف كثيرة من حـــروف لغـــات العجـــم وليس ذلك فى شئ أكثر منه فى لغة الخوز ، فى سواحل البحر من اسياف فارس ناس كثير كلامهم يشبه الصفير ، فمن يستطيع أن يصوره كثيراً من حروف الزمزمة والحروف التى تظهر فى فم المجوسي إذا ترك الافصـــاح عنه مجانبة وأخذ فى باب الكناية وهو على الطعام" [١] .

كأن الحاجظ حدد حروف اللَّثغة فى أربعة أحرف أمَّا الأعاجم فـــإنَّهم يلثغون فى أحرف غير مكتوبة وهى أصوات تشبه الصفير .

أمثلة للحروف التى تقع فيها اللثغة :

يذكر الجاحظ الأمثلة للحروف التى تقع فيها اللثغة يقول : " فاللثغة التى تعرض للسين تكون ثاء كقولهم لأبي يكسوم : أبي يكثوم ، وكمـــا يقولـــون بثرة ، إذا أرادو بسره وبثم الله ، إذا أرادو بسم الله .

والثانية : اللثغة التى تعرض للقاف ، فإنَّ صاحبها يجعل القاف طـــاءً ، فإذا أراد أن يقول : قلت لك ، قال : طُلتُ لك ، وإذا أراد أن يقول : قـــال لى، قال: طال لى .

أمثلة اللثغة التى تقع في اللاَّم ، فإنَّ من أهلها من يجعل الـــلام يـــاء ، يقول بدل قوله : اعتللت ، اعتييت ، وبدل جمل جمي .

وآخرون يجعلون اللام كافاً ، كالذي عرض لعمر أخي هلال ، فإنّه كان إذا أراد أن يقول : ما العِلة في هذا ، قال : مكْعِكَّة في هذا .

---

(١) نفس المصدر ، ص (٤٣)

وأما اللثغة التى في الرَّاء ، فإنَّ عددها يضعف على عدد لثغة الـــلام : لأن الذي يعرض لها أربعة أحرف : فمنهم من إذا أراد يقــول : عمـــرو ، قال عَمْي فيجعل الرَّاء ياء .

ومنهم من أراد يقول : عمرو قال عمغ فيجعل الرَّاء غيناً .

ومنهم من إذا أراد أن يقول : عمرو : قال عمذ فيجعل الرَّاء ذالاً .

وإذا أنشد قول الشاعر (عمرو بن أبي ربيعة) :

واستبدت مرّةً واحدة *** إنما العاجز من لا يستبد

قال : وإستبدَّت مذَّةً واحدة *** إنما العاجز من لا يستبد

وصاحب اللثغة بالظاء يقول : وأستبدت مِظّة .....

وصاحب اللثغة بالغين يقول : وأستبدت مَغَّة .....

وصاحب اللثغة بالياء يقول : وأستبدَّت مَيَّة .....

وإذا كانت اللثغة عيب كلامي ، فإنها في نفس الوقـــت مـــن العيـــوب الإبدالية لأنَّ الألثغ يبدل حرف خاطئ مكان الحـــرف الصـــحيح ، فيتغيـــر النظام الصوتي ، والصرفي للكلمة ، وهذا التغيير يؤثر على عمليـــة فهـــم المعني .

لثقة واصل بن عطاء :

يقول الجاحظ واصفاً لثغة واصل بن عطاء ، وهـــو معجـــب بهـــذا الرجل : " أمَّا اللثغة الخامسة التى كانت تعرض لواصـــل بـــن عطـــاء ، ولسليمان بن يزيد العدوي الشاعر ، فليس إلى تصويرها سبيل وكذلك اللثغة التى تعرض في السين كنحو ما كان يعرض لمحمد بن الحجَّـــاج ، كاتـــب

داؤد بن محمد كاتب أم جعفر ، فإنَّ تلك أيضاً ليست لها صورة في الخط تُري بالعين ، وإنَّما يصورها اللسان وتتأدَّي إلى السمع[١].

ويبدو لي أنَّ اللثغة عند واصل كانت على حرف واحدٍ وهو الرَّاء إلاَّ أن لثغتة ليست إبدالية لأنه لا يُغيّر الحرف وهي صوتيه .

وإن خصومه ذمُّوه في ذلك ، فظَّل يتمرس بالخطابة في معالجتها، وقيل إنّه عالجها.

يقول الجاحظ : " ولمَّا عَلِم واصل بن عطاء أنه ألثغ فاحش اللثغ ، وأنَّ مخرج ذلك من شنبع ، وأنه إذ كان داعية مقالةٍ ، ورئيس نحلة ..... إلى أن قال : رام أبو حذيفة إسقاط الرَّاء من كلامه وأخراجها من حرف منطقه ، لم يَكّدْ يُكابد ذلك ويغالبه ويناضله ، ويساجله ويتأتي لسترة والرَّاحة من هجنته حتى انتظم له ما حاول واتسق له ما أمَّل " [٢].

ثم يذكر الجاحظ درجات اللثغة في القبح يقول : " واللثغة في الرَّاء تكون بالغين والذال والياء ، والغين أقلها قبحها واوجدها في كبار السنِّ وبلغائهم وأشرافهم وعلمائهم.

وكأنَّ الجاحظ يقول إنَّ البلغاء والعلماء والأَشراف أقدر على تجاوز لثغة الرَّاء العارضة في حديثهم ، كما فعل واصل بين عطاء لمعارضيه؛ ومع ذلك لم يسلم من ملاحقة خصومه فهجاه أحد الشعراء عندما لاحظ ذلك بقوله :

ويجعل البُرَّ قمحاً في تَصَرُّفِهِ *** وجانب الرَّاء حتى احتال للشَّعَر

ولم يُطِقْ مطراً والقولُ يُعجِلُهُ *** فعاذ بالغيثِ إشفافاً من المطر

---

(١) نفس المصدر ، ص (٤٤) .

(٢) نفس المصدر ، ص (٣٣) .

ويحاول الجاحظ أن يخفّف من لثغة واصل بأنها : أقل درجة في القبح ، ومع ذلك واصل يتكلّف تجنب الرَّاء .

يقول الجاحظ : قال أبو عثمان الشَمَّريّ : ألا تريان كيف تجنب الـــراء في كلامه هذا وانتما للذي تريان من سلامته وقِلَّه ظهور التكلُّـــف فيـــه لا تظنَّان به التكلف مع امتناعه من حرف كثيرة الدوران في الكلام ..... (١)

وتظهر معالم التكلف عند واصل من خلال مناظراته مع خصـــومه ، ومنهم بشار بن برد ، يقول الجاحظ : " ألآ تريان أنَّه لما لـــم يســـتطع أن يقول بشار ، وابن برد ، والمرعَّث ، جعل المشنّق بدلاً مـــن المرعَّـــث ، والملحد بدلاً من الكافر ، وقال : لولا أنَّ الغيلة سجيَّة من سجايا الغاليـــة ، ولم يذكر المنصورية ولم يقل لأرسلت إليه ، وقال على مضجعه، ولم يقـــل على فراشه .

وكان إذا أراد أن يذكر البُر ، قال القمح أو الحنطة ، والحنطة لغةٌ كوفية والقمح لغة شامية هذا وهو يعلم أنَّ لغة من قال بُرّ أفصح من لغـــة من قال قمح أو حنطة " (٢).

ونجد أنَّ الجاحظ شنَّع اللُّثغة في بعض المواقف وخفّف قبحهـــا فـــي مقامات العلماء والخطباء واستملحها عند الجواري ذلك لأنَّ الجـــواري لـــم يقمن مقامات الخطّابة .

ولمَّا كانت العرب أمة بيانية ، تنفر عن كل ما يشوب بيانهـــا ويفســـده نجد أبارمادة يُطلقِّ زوجته لأنها لثغاء وخاف أن تجعل في نسله عيباً كلامياً يُنسب إليه قال :

لثغاء تأتي بحيفسٍ ألثغ *** تميسُ في الموشِيَّ والُمصبَّغ

---

(١) نفس المصدر ، ص (٣٢) .

(٢) نفس المصدر ، ص (٣٢) .

وهذا يدل على أن اللثغة مرض اجتماعي موروث ، وذلك لأن العـــرب تذم القبيلة التى بها عيب كلامي كما نجد أنَّ الشاعر التيميّ هجا بني تغلـــب لأن فيهم عيب كلامي وهو الحكلة وقال :

ولكنَّ حكلاً لا تبين وديتها *** عبادةُ أعلاج عليها البرانِسُ

والتيميَّ من الشعراء المتكلمين .

هذا ونجد أنَّ علماء اللغة المحدثين يصنِّفون اللغات المعيبـــة ويســـمونها اللغات المذمومة عند العرب مثل الككشة والكسكسه و ..... الخ .

عيوب الكلام الناتجة عن أسباب علة جهاز النطق :

أثر الأسنان في سلامة اللغة عند الجاحظ :

الأسنان مكَّون أساسي من مكونات الجهاز الصوتي للإنسان ، وهـــي مخرج لعدة أصوات وحروف فإذا ما أعتلَّت هذه الأسنان اعتلـــت ســـلامة اللغة لدى المصاب مما نتج عن ذلك عيب في كلامـــه ، والجـــاحظ اهـــتم بدراسة الجهاز الصوتي للإنسان ، خاصة الاسنان يقول " : وقال سهل بـــن هرون : لو عرف الزنجي فرط حاجته إلى ثناياه فـــي إقامـــة الحـــروف ، وتكميل آله البيان ، لما نزع ثناياه " .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سهيل بن عمرو الخطيـــب : يارسول ، أنزع ثنيَّتيه السُّفليين حتى يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيباً أبداً " وإنما قال ذلك لأن سهيلاً كان أعلم من شفته السُّفلي .

وقال خلاّ بن يزيد الأرقط : خطب الجُمحي خطبة نكاحٍ أصاب فيها معاني الكلام ، وكان في كلامه صفير يخرج من موضع ثناياه المنزوعـــة فأجابه زيد بن على بن الحسين بكلام في جودة كلامه إلاَّ أنَّه فضله بحســـن

المخرج والسلامة من الصفير ، فذكر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، سلامة لفظ زيد لسلامة أسنانه فقال في كلمة له :

قَلَّت قوادحها وتَمَّ عديدها *** فله بذلك مزِيَّة لا تُنكر

ويروي : صحَّت مخارجها وتمَّ حروفها[1] .

وهكذا تظهر سلامة الأسنان وأثرها في سلامة اللغة وإنَّ نقصها أو تلفها يؤدِّي إلى عيب في الكلام أو النطق ، ويؤكد ذلك قول الأحنف بن قيس والذي أشار فيه إلى أنَّ أمَّهُ أرضعته حتى اكتملت أسنانه :

أتَمَّتني فلم تنقص عظامي *** ولاصوتي إذا جَدَّ الخُصوم

قال الجاحظ : إنَما عنى بقوله (عظامي) أسنانه التى في فمه ، وهي التى إذا تمت تَمَّت الحروف ، وإذا نقصت نقصت الحروف .

ويقول : قالوا ولم يتكلم معاوية على منبر جماعة منذ سقطت ثناياه في الطست .

ويبدو أنَّ سقوط أسنان معاوية أثَّر على سلامة لغته وأحدث أثراً نفسياً آخر وهو خوفه من اللحن بسبب هذه العِلَّة مما جلعه يعتزل المنابر ومقامات البيان والفصاحة .

وقال أبو الحسن وغيره : لما شَقَّ على معاوية سقوط مقادم فيه قال له يزيد بن معنّ السُّلمِيّ : " واللهِ ما بلغ أحد سِنَّك إلاَّ أبغض بعضه بعضاً فَفُوكَ أهون علينا من سمعك وبصرك " ، فطابت نفسه .

وقال أبو الحسن المدائني : لمَّا شَدَّ عبد الملك أسنانه بالذهب قال : " لولا المنابر والنساء ، ما باليت متي سقطت " .

---

(١) الجاحظ البيان والتبني ، (ج ، ص (٥٩) .

قال : وسألت مباركاً الزنجي الفاشكار : ولا أعلم زنجياً بلغ في الفشكرة مبلغه ، فقلت له : لم تنزع الزنج ثناياها ؟ ولم يُحدَّد ناس منهم أسنانهم ؟ فقال : أمَّا أصحاب التحديد فللقتال والنَّهش ، ولأنهم يأكلون لحوم النَّاس ، ومتى حارب ملكٌ ملكاً فأخذه أسيراً أو قتيلاً أكله ، وكذلك إذا قاتل بعضهم بعضاً أكل الغالب منهم المغلوب ... وأمَّا أصحاب القلع فإنهم قالوا : نظرنا إلى مقادم أفواه الغنم فكرهنا أن تشبه مقادم أفواهنا مقادم أفواه الغنم فكم تظنَّهم ــ أكرمك الله ــ فقدوا من المنافع العظام بفقد تلك الثنايا [1].

وذلك لأن الزنج ليسو أهلُ بيانٍ ولايهتمون بالخطابة .

ومن العلماء من يظن أن سقوط جميع الأسنان أصلح في الإبانة ، يقول الجاحظ : وقال محمد بن عمرو الروميّ مولى أمير المؤمنين : قد صحت التجربة وقامت العبرة على سقوط جميع الأسنان ، أصلح في الإبانه عن الحروف ، منه إذا سقط أكثرها ، وخالف أحد شطريها ، الشطر الآخر ، وقد رأينا ذلك في أفواه قوم شاهدهم الناس بعد أن سقطت جميع أسنانهم ، وبعد أن بقي منهم الثلث أو الربع ، فَمِمَّن سقطت جميع أسنانه وكان معني كلامه مفهوماً ، الوليد بن هشام القَحْذميّ صاحب الأخبار ، ومنهم أبو سفيان ابن العلاء بن لبيد التغلبي ، وكان ذا بيانٍ ولسن ، وكان عبيد الله بن أبي فكان ظريفاً يُصَرِّف لسانه كيف شاء ..... وكان سفيان بن الأبرد الكلبي كثيراً ما يجمع بين الحار والغار ، فتساقطت أسنانه جُمع ، وكان في ذلك كله خطيباً بيِّناً .

وقال أهل التجربة : إذا كان في اللحم الذي فيه مغارز الأسنان تشمير وقصر سَمْك ، ذهبت الحروف وفسد البيان ، وإذا وجد اللِّسان نم جميع

---

(١) نفس المصدر ، ص (٤٤) .

جهاته شيئاً يقرعه ويصكه ولم يمُر في هواءٍ واسع المجال ، وكان لسانه يملا حوبة فمه ، لم يَضُرَّه سقوط أسنانه إلاَّ بالمقدار المغتفر والجزء المحتمل [١].

وقال الجاحظ : وقالوا الدليل على أنَّ من سقط جميع أسنانه أنَّ عِظَم اللسان نافع له ، قول كعب بن جُعيلٍ ليزيد بن معاوية ، حين أمره بهجاء الأنصار ، فقال له : " أرادِيَّ أنت إلى الكفر بعد الإيمان لا أهجو قوماً نصروا رسول الله صلي عليه وسلم وآوَوْهُ ولكني سأدُلَّك على غلام في الحَيّ ، كافرٍ كأنَّ لسانه لسان ثورٍ " ، يعني الأخطل .

وجاء في الحديث : " إنَّ الله تبارك وتعالى يبغض الرجل الذي يتخلَّل بلسانه كما تتخلل الباقرة الخلا بلسانِها " .

قالوا : ويُدُلُّ على ذلك قول حسانٍ بن ثابت حين قال له النبي صلى الله عليه وسلم: " ما بقي من لسانك ؟ فأخرج لسانه حتى قرع بطرفه طرف أرنبته ، ثم قال والله أنْ لو وضعته على شعر لحلقه ، أو على صخرٍ لفلقه ، وما يُسرني به مِقْولٌ من مَعَدّ ".

وبذا يمكن القول : إنَّ سقوط الأسنان أو تلف جزء منها يؤدي إلى عيوب الكلام وهذا العيب يُعَدُّ عيباً عضوياً أي متعلق بأحد أعضاء جهاز النطق وهو الأسنان ويري الجاحظ أنَّ العيب يبقي أقل أثراً إذا سقطت جميع الأسنان وعظُم اللسان .

---

(١) نفس المصدر ، ص (٦١) .

التنافر واللحن عند الجاحظ :

تَنبَّه الجاحظ ــ رحمة الله ــ إلى جزالة اللفظ وسهولته في انتقاء العبارة سهلة المخارج وخاصة في الشعر وذكر أنَّ العرب تأبى طباعهم اللحن والركاكة والتنافر في الجملة والكلمة ومخارج الحروف .

يقول في ذلك : " إذا كان الشعر مستكرهاً وكانت ألفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلاً لبعض ، كان بينها من التنافر ما بين أولاد العلاَّت ، وإذا كانت الكلمة ليس موقعها إلى جنب أختها مرياً موافقاً ، كان على اللسن عند إنشاد ذلك الشعر مئونة قال : وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج ، فتعلم بذلك أنه قد أفرغُ إفراغاً واحداً ، وسبك سبكاً واحداً ، فهو يجري على اللسان كما يجري الدِّهان"(١).

ويُعلِّق الجاحظ على بيت أبي البيداء الرياحي الذي قال فيه :

وشعر كبعر بالكبش فرَّق بينه *** لسان دعِيّ في القريض دخيل

يقول : وأمَّا قوله : " كبعر الكبش " فإنما ذهب إلى أنَّ بعر الكبش يقع متفّرقاً غير مؤتلف ولا متجاور ، وكذلك حروف الكلام ، وأجزاء البيت من الشعر ، تراها متفقة مُلساً ولينه المعاطف سهلة ، وتراها مختلفة متباينة ، ومتنافرة مستكرهة ، تشقُّ على اللسان وتكدَه ، والأخري تراها سهلة لينه ورطبة مواتية سلسة النّظام ، خفيفة على اللسان حتى كأنَّ البيت بأسره كلمة واحدة ، وحتى كأنَّ الكلمة بأسرها حرفٌ واحدٌ .

---

(١) نفس المصدر ، ص (٦٥) .

وقال سحيم بن جفص ، قالت بنت الحطيئة : " تركت قوماً كراماً ونزلت في بني كليب بعر الكبش " فعابتهم بتفرق بيوتهم ، فقيل لهم : فأنشدوها بعض مالا تتباين ألفاظه ولا تتنافر أجزاؤه [١].

هذه إشارة منه إلى تنافر الألفاظ .

أمَّا تنافر الحروف فقال فيه : ... فأمّا اقتران الحروف فإنَّ الجيم لا تقارن الظاء ، ولا القاف ولا الطَّاء ولا الغين بتقديم ولا تأخير ، وهذا باب كبير ، وقد يكتفي بذكر القليل حتى يستدل به على الغاية التى إليها يُرجى .

وفي اللحن الخاص بالأعاجم يقول :

وقد يتكلم المغلاق الذي نشأ في سواد الكوفة بالعربية المعروفة ، ويكون لفظه متخيراً فاخراً ومعناه شريفاً كريماً ، ويعلم مع ذلك السامع لكلامه ومخارج حروفه أنَّه نبطِيّ . أي يلحن في كلامه بعدم مقدرته على نطق بعض الحروف نطقاً سليماً لتأثُّره بلغته الأم الأعجميَّة .

يقول : وكذلك إذا تكلم الخرساني على هذه الصفة ، فإنك تعلم مع إعرابه وتخير ألفاظه في مخرج كلامه أنه خرساني ، وكذلك إذا كان من كُتّاب الأهواز ، ومع هذا إنا نجد الحاكية من الناس يحكي ألفاظ سُكَّان اليمن مع مخارج كلامهم ، ولايغادر من ذلك شيئاً ، وكذلك تكون حكايته للخرساني والأهوازي والزنجي والسندي ، والأجناس وغير ذلك حتى تجده كأنّه أطبع منهم ، فإذا ما حكى كلام الفافاء فكأنَّما قد جمعت كل من طرفه في كل فأفاءٍ في الأرض على لسان واحدٍ ، ونجده يحكي الأعمي بصور ينشئها ولوجهه وعينيه وأعضائه لا تكاد تجد من أَلْفَ أعمي واحداً يجمع ذلك كله ، فكانه قد جمع جميع طرُف حكايات العُمليان في أعمي واحد .

---

(٢) نفس المصدر ، ص (٦٥) .

ويبدو لي أن الجاحظ كأنه يشير إلى أن الإنسان قادر على المحاكاة للدلالة على التعبير بجميع صورتها من إشارات ورموز وأصوات كما ان له ميزة تقليد ومحاكاة أصوات جميع الحيوانات الأخري ، وهذه الخاصية أكثر ما توجد في الزنج .

يقول : وإنَّما تهيّاً وأمكن الحاكية لجميع مخارج الأمم لما أعطي الله الإنسان من الاستطاعة والتمكين وحين فضله على جميع الحيوان بالمنطق والعقل والاستطاعة فبطول استعمال التكلف ذلت جوارحه لذلك ، ومتى ترك شمائله على حالها ولسانه على سجيته كان مقصوراً بعادة المنشأ على الشكل الذي لم يزل فيه (١).

وإذا كان اللحن ظاهرة قديمة فإنَّ الجاحظ فسّرها بلحن العوام والخواص ولحن الأعاجم .

قال أبو عثمان : حدَّثنا عتَّام أبو على عن الأعمش عن عمارة بن عمير قال : كان أبو معتمر يحدّثنا فيلحن يتبع ما سمع ، أبو الحسن قال : أوفد زياد عبيد الله بن زياد إلى معاوية ، فكتب إليه معاوية : " إنَّ ابنك كما وصفت ، ولكن قوِّم من لسانه "

وكانت في عبد الله لكنه لأنه كان نشأ بالأساورة مع أمة " مرجانة " وكان زياد قد زوجها من شيرويه الأسواري ، وكان قال مرَّة " افتحوا سيوفكم " يريد : سلوا سيوفكم فقال يزيد بن مفرَّغ " .

يوم فتحت سيفك من بعيد *** أضعت وكل أمرك للضياع

ويبدو أنه ورث اللكنة من أمة الأعجمية أو بمخالطته أخواله العجم .

---

(١) نفس المصدر ، ص (٦٧) .

ومن أمثلة لحن العجم التى ذكرها الجاحظ يقول : قال مسلم بن سلام : كان حسان النبطي شديد اللكنة ، وكان نحوياً ، قال : وكان بخيلاً ودعاً غلامه ثلاثاً ، فلمَّا أجابه قال : فمن لدُن دأَوتك إلى أن قلت لَبّيْ ما كنت تَصنْأ ؟

يريد من لدن دعوتك إلى أن أجبتني ماكنت تصنع [1].

علاج عيوب الكلام عند الجاحظ :

ذكر الجاحظ أن التدريب والتعليم والمراس ومجالسة العلماء يقوَّم اللسان يقول :

" وقال بعض الربانيين من الأدباء وأهل المعرفة من البلغاء ممّن يكره التشادق والتعمق وبعض الإغراق في القول والتكلف والاجتلاب .

ويعرف أكثر أدواء الكلام ودوائه ، وما يعتري المكتلم من الفتنة بحسن القول ، وما يعرض للسامع من الافتنان بما يسمع والذي يورث الاقتدار من التهكُم والتسلُّط ، والذي يمكّن الحاذق المطبوع من التمويه للمعاني والخلابة وحسن المنطق، فقال في بعض مواعظه :،

" أنذركم حسن الألفاظ ، وحلاوة مخارج الكلام ، فإنَّ المعني إذا اكتسى لفظاً حسناً وأعاره البيلغ مخرجاً سهلاً ، ومنحه المتكلم درَّاً متعشقاً ار في قلبك أحلى ، ولصدرك أملى .....

فأذكر هذا الباب ولا تنسه ، ولا تفرِّط فيه ، فإنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يقل للأحنف بن قيس ــ بعد أن احتبسه حولاً مُجَرَّماً بأن يستكثر منه ، وليبالغ في تصفح حاله .

---

(١) الجاحظ ، البيان والتبين ، ج ٢ ، مط : دار الكتب العلمية ، بيروت لبان ، ط الثالة ، ٢٠٠٩م ، تحقيق موفق شهاب الدين ، ص (١٣٨) .

والتنقير عن شأنه ــ " إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان خوَّفنا كل منافق عليم ، وقد خفت أن تكون منهم " إلاّ لما راعه من حُسن منطقه ومال إليه لمَّا رأي من رفقه وقِلَّة تكلُّفه ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إنَّ من البيان لسحراً " (١).

وفي هذا النص إشارات علاج عيوب الكلام بالتدريب على الخطابة بالتأني والتمهُّل في الحديث وتجنب العجلة لأنها تقود إلى الوقوع في الخطأ واختيار الألفاظ السهلة العذبة والمخارج السهلة ؛ لنتجنب التنافر وغرابة الألفاظ ووحشيها وأن يتيهيأ المتكلم لكلامه ويتجنب الخلل فيه ويجهد نفسه متكلفاً علاجه .

ونلاحظ ما فعل واصل مع لثغته في الرَّاء يقول الجاحظ في التأنّي في علاج اللثغة : " فإما التى على الغين فهي أيسرهن ويقال إنَّ صاحبها لوجهد نفسه ، وأحدَّ لسانه ، وتكلّف مخرج الراء على حقّها والإفصاح بها، لم يكن بعيداً أن تجيبة الطبيعة ويؤثّر فيها ذلك التعهُد أثراً حسناً (٢).

ومن طرق علاج عيوب الكلام التى ذكرها الجاحظ الانتباه لموقع الخطأ أي المتكلم عليه أن يتهيا لنطقه ويتخير ألفاظه ويتعهد موقع الخلل في نطقه ويجهد نفسه لعلاجه ، وفي ذلك يقول الجاحظ : " وقد كانت لثغة محمد بن شبيب المتكلم بالغين ، وكان إذا شاء أن يقول عمرو ولعمري وما أشبه ذلك على الصحة قاله ، ولكنه كان يستثغِل التكلف ، والتهيؤ لذلك ، فقلت له : إذا لم يكن المانع إلاّ هذا العذر فلست أشك أنك لو احتملت هذا التكلف والتتبّع شهراً واحداً أنّ لسانك كان يستقيم ... " (٣).

---

(٢) البيان والتبيين ، ج ، ص (١٨٢ – ١٨٣) .

(١) الجاحظ ، البيان والتبين ، ج ، ص (٤٥) .

(٢) نفس المصدر ، ص (٤٥) .

وإن كان الجاحظ وصف علاج عيوب الكلام ؛ فقد جاء وصفها وعلاجها في أدب النبوة من أحاديث صنّفت هذه العيوب ، وحذّرت من ارتكابها. وإن كان الجاحظ قد أورد هذه الأحاديث الشريفة في البيان والتبيين ، فقد حذّرنا صلى الله عليه وسلم من التشادق والتفيهق ، وعدّها صلى الله عليه وسلم عيوب يجب تجنبها ويكمن علاجها في اتباع تحذير النبي صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم : " لاخلابة " والخلابة هي المخادعة وقيل الخديعة باللسان ، فالقصد في ذلك ــ كما يقول الجاحظ ــ أن تجتنب السوقيّ والوحشيّ ولا تجعل همّك في تهذيب الألفاظ وشغلك في التخلّص إلى غرائب المعاني ، وفي الاقتصاد بلاغ ، وفي التوسُّط مجانبة للوعورة وخروج من سبيل من لا يحاسب نفسه [١].

(٢) نفس المصدر ، ص (١٨٣) .

الخاتمـــة :

الحمد لله الذي بنعمته تـــتم الصـــالحات ، إن هـــذا البحـــث تنـــاول موضوعات علم اللُّغة النفسي ، التى وردت في كتـــاب البيـــان والتبيـــين للجاحظ ، وهو جهد متواضع في دراسة مظاهر السلوك اللغوي ، في هـــذا المصدر المهُمِ ،ورغم صعوبة المسلك ، ووعورة الطريق ، إلا أنّ الباحث في كتب التراث العربي يجد نفسه في سياحة ممتعة كيف لا وهو ينقب في هذا التراث العظيم ، الذي ظلّ محافظاً على رونقه ، ولم يتغير كغيره مـــن الحضارات الأخرى،وتعد هذه إحدى إشارات إعجاز القران الكـــريم التـــي حفظت اللغة العربية وتراثها.

ومن خلال هذه السياحة في البيان والتبيين ؛ اتضح أنّ كتاب البيان والتبيين من أهم مصادر علم اللغة النفسي والتطبيقي .

أهم نتائج الدراسة :

١. يُعَّد الجاحظ من العلماء الأوائل الذين وضعوا اللبنات الأولي لعلم اللغة النفسي، وذلك من خلال اهتمام عصره بالفصاحة والبيان نجده يوضح العوامل والآثار النفسية التى يجب أن يراعيها الخطيب في خطبته حتى تصل رسالتة للسامعين وبذا يكون أول من تطرق للعمليات المعرفية المرتبطة باللغة.

٢. درس الجاحظ موضوع اكتساب اللغة عند الأطفال ، والحروف التى يتهيأ بها الطفل لنطق الكلمات الأولى ، وذلك من خلال دراسته للحروف ومخارجها .

٣. تطرّق لموضوع التعلُّم اللُّغوي ، فنجده درس تعلُّم اللُّغة الثانية ومثل له بالسِنْدِيِّ إذا جُلب كبيراً فإنهّ لايستطيع أن يتعلم اللُّغة وينطق بالحروف نطقاً سليماً ، وكذلك النبطيّ القُح .

٤. درس الجاحظ عيوب الكلام ، وسماها (آفات اللسان) وحدّد مصطلحاتها وأسبابها وطُرق علاجها ، وأوضح الآثار النفسية المترتبة على هذه العيوب للسامع والمتكلم ومضمون الرسالة الكلامية المعُيبة .

٥. تطرق لقضية التواصل اللغوي من خلال دراسته للخطابة ،وشروط الخطبة الجيدة المؤثرة في السامعين ، وأدوات الخطيب ، وذكر عدد من الخطباء الأبيناء .

التوصيات :

يوصي الباحث بتتبع موضوعات علم اللغة النفسي في كتب الجاحظ الأخري ، كالحيوان والبخلاء وغيرها .

الاهتمام بالبحث في البيان والتبيين كمصدر أساسي للدرس اللُّغوي الحديث والبحث في موضوعات علم اللُّغة التطبيقي والاجتماعي وعلم الدلالة في هذا المصدر .

قائمة المصادر والمراجع :

١. الجاحظ ، البيان والتبيين ، مط : دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط الثالثة ، ٢٠٠٩م ، تحقيق موفق شهاب الدين .

٢. الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: حسن السندوبي،ط١، ١٩٩٣م

٣. الجاحظ ، الحيوان، ، تحقيق: عبد السلام هرون، دار الجبل بيروت،١٩٩٨م

٤. الجاحظ،البيان والتبيين، تحقيق: حسن السندوبي ومصطفي القصاص، دار حياء العلوم بيروت،طبعة ١٩٩٣م.

٥. الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هرون، مكتبة أبن سيناء للنشر والتوزيع القاهرة،٢٠١٠م .

٦. أبي عبد الله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي، معجم الأدباء أو إرشاد الأريب الى معرفة الأديب، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط١ .

٧. ابن منظور : جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم أبن منظور الأنصاري الأفريقي المصري لسان العرب ، مط : دار الكتب العلمية ، ط٢٠٠٩م ، تحقيق : عامر احمد حيدر ومراجعة عبد المنعم خليل .

٨. أبو الفتح عثمان بن جني ، الخصائص ، مط دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢٠٠٨م ، تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي .

٩. السيد عبد الحميد ، في علم النفس اللغوي ، اللغة بين علم النفس وحروبها وإضطرابها ، مط : عالم الكتب ،القاهرة ، ط ٢٠١٥م .

١٠. الزراد ، د. فيصل محمد خير ، اللغة وإضطرابات النطق والكلام ، مط : دار المريخ للنشر الرياض ، ١٩٩٠ – ٢٠٠٩م .
١١. الخفاجي ، أبو محمد عبد الله بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي ، سر الفصاحة ، شرح داؤود غطاشة ، مط : دار الفكر ، ط الأولى ، ٢٠٠٦م .
١٢. الراجحي عبده الراجحي ، علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية ، مط : دار المعرفة الجامعية ، جامعة الإسكندرية، ط : ٢٠١٢م.
١٣. يوسف منتصر ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والإجتماعية ، جانفي جوان ، ٢٠٠٨م ، العدد الثاني ، الجاحظ في الخطاب اللساني العربي ، جامعة محمد خضير ، بسكره .
١٤. وسمية المنصور، عيوب الكلام، دراسة لما يعاب في الكلام عند اللغويين العرب، حوليات كلية الآداب جامعة الكويت، الحولية السابعة، الرسالة الثامنة والثلاثون١٤٠٦– ١٩٨٦م .
١٥. محمد التوبخي ، و راجي الأسمر ، الخزانة اللغوية ، المعجم المفصل في علوم اللغة (اللسانيان) راجعه الدكتور إميل يعقوب ، مط دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٣م .
١٦. محمد كرد على، أمراء البيان، ج٢، دار الافاق العربية القاهرة، ٢٠٠٣م .
١٧. سهير محمد سلامة ، علم نفس اللغة ، مط مكتبة الزهراء الشرق ، القاهرة ، ط الأولى ، ٢٠٠٦م .
١٨. زكريا إسماعيل ، طرق تدريس اللغة العربية، مط : دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر ، الإسكندرية، ط، بدون تاريخ .

١٩. جمعة سيد يوسف ، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي ، عالم المعرفة ــ سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون ، الكويت رقم العدد (١٤٥) ، ١٤١٠هـ ينابر ١٩٩٠م .

٢٠. عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، مط : دار الجيل بيروت لبنان ، بدون تاريخ طباعة ، ج الاول .

٢١. د.محمد حماد ، محاضرة علم اللغة العام ، اللغاء الثالث ، التعليم المفتوح كلية دار العلوم .

٢٢. جاسم علي جاسم ، مجلة الجامعة الإسلامية ، العدد ، ١٥٤ ، علم اللغة النفسي في التراث العربي .

٢٣. عبد الغفار حامد هلال ، العربية خصائصها وسماتها ، مط : مكتبة وهبه ، الطبعة الخامسة ، ٢٠٠٤م .

٢٤. سليمان السيد عبد الحميد سليمان ، في علم النفس اللغوي ، اللغة بين علم النفس وحروبها وإضطرابها .

٢٥. محاسيس ، صهيب سليم محاسيس ، عيوب الكلام في التراث اللغوي العربي ، مط : دار الحامد للطباعة والنشر والتوزيع ، الأردن : عمان ، ط الأولى ، ٢٠١٢م .

٢٦. محمد كشاش ، علل اللسان وأمراض اللغة (رؤيه لغوية إكلينكية) وانعكاساتها الاجتماعية ، المطبعة العصرية ، بيروت لبنان ، ط الأولي ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م

فهرس الموضوعات

عنوان الموضوع	رقم الصفحة
الآية	أ
الإهداء	ب
الشكر والتقدير	جـــ
المستخلص	د
Abstract	هـــ
مقدمة	١
أهمية البحث	٢
أهداف البحث	٢
مشكلة البحث	٢
أسئلة البحث	٣
منهج البحث	٣
فروض البحث	٣
حدود البحث	٤
هيكل البحث	٥
الفصل الأول: التعريف بالجاحظ وكتابه البيان والتبيين	
المبحث الأول : التعريف بالجاحظ	٧- ١٣
المبحث الثاني : التعريف بكتاب البيان والتبيين	١٤-٢٥
الفصل الـــثاني: اللُّغة الإنسانيَّة وعلم اللُّغة النَّفسي	
المبحث الأول : التعريف باللغة وآراء العلماء فيها	٢٧- ٣٥
المبحث الثاني : نشأة اللغة وخصائصها ووظائفها	٣٦- ٥٠

المبحث الثالث : التعريف بعلم اللغة النفسي ومؤشـــراته فـــي التراث العربي	٥١- ٦٥
الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية فى البيان والتبيين	
المبحث الأول : مجالات علم اللغة النفسي عند الجاحظ	٦٧ -٧٢
المبحث الثاني: عيوب الكلام عند الجاحظ	٧٣ -٩٥
الخاتمة	٩٦
النتائج	٩٧
التوصيات	٩٨
قائمة المصادر والمراجع	٩٩-١٠١
فهرس المضوعات	١٠٢-١٠٣
فهرس الآيات	١٠٤
فهرس الاحاديث	١٠٥
فهرس الأشعار	١٠٦

فهرس الآيات

الآيـــــــــــــــــــة	السورة ورقمها	رقـــــم الصفحة
(الرحمن (١) علَّـم القرآن (٢) خلق الإنسان (٣) علَّمه البيان)	الرحمن :الآية رقم (١-٤)	أ
(تعلمونهَّن مَّما علمكـم الله)	المائدة : الآية رقم (٤)	٣٢
(وعلَّـم آدم الأسماء كلها)	البقرة : الآية رقم (٣١)	٣٨
(إنْ هي الاَّ أسماء سميتموها أنتـم وآباؤكـم ما أنزل الله بها من سلطان	النجم : الآية رقم (٢٣)	٣٩
(ومن آياتِه خلق السموات والأرض وأختلاف ألسنتكـم وألوانكـم)	الروم : الآية رقم (٢٢)	٣٩
(اقرا بإسـم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، أقرا وربك الأكـرم ، الذي علـمَّ بالقلـم ، علـم الإنسان مالم يعلـم)	العلق : الآية (١-٥)	٦٢
" والله أخرجكـم من بطون أمهاتكـم لا تعلمون شيئاً وجعل لكـم السمع والأبصار والأفئدة لعلكـم تشكرون)	النحل : الآية (٧٨)	٦٤
(وما ارسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهـم)	إبراهيم : الآية (٤)	٧٠
(أومن ينشؤا في الحلية وهو في الخصام غير مبين)	الزخرف : الآية (١٨)	٧٨

فهرست الأحاديث

م	الحديث	رقم الصحفة
١	إيَّاىَ والتشادق	٦٧
٢	أبغضكم إليّ الثرثارون والمتفيهقون	٦٧
٣	إنَّ الله تبارك وتعالى يبغض الرجل الذي يتخلَّل بلسانه كما تتخلل الباقرة الخلا بلسانِها إنَّ من البيان لسحراً	٨٩
٤	إنَّ من البيان لسحراً	٩٤

فهرس الأشعـــار

م	بيت الشعر			رقم الصحفة
١	كقس إياد ، أو لقيط بن معبد	**	وعزرة والمنطق زيدبن جندب	٧٠
٢	ركوب المنابـــــر وثَّابها	**	معــن بخطبــته مــجهـــر	٧٠
٣	تريع إليــه هوادى الكــلام	**	إذا ضـــل خطبتــة المهذر	٧٠
٤	أعذنى ربى من حصرٍ وعيٍ	**	ومن نفسٍ أعالجــها علاجاً	٧٧
٥	ولا حصـــرُ بخطبتـــــة	**	إذا مــا عـــــزّتِ الخطبِ	٧٧
٦	وقد يقرض الشعر البكى لسانه	**	وتُعي القوافى المرء وهو خطيب	٧٧
٧	ولو أننى أوتيت علم الحــكل	**	علــم سليمـــان كلام النمل	٨٠
٨	ويفهم قول الحكل لو أنَّ ذرة	**	تساور أخرى لم يفتة سوادها	٦٨
٩	ياحمذ ذات المنطــق التمتام	**	كــأن وســواسك فــى اللمام	٦٨
١٠	لســت بفأفأء ولا تمـــتام	**	ولا كثير الهجر فى الكــلام	٦٨
١١	كأن فيه لففاً إذا نطـــــق	**	من طــول تحبيسٍ وهمٍ وأرق	٦٩
١٢	واستبدت مرَّةً واحـــــدة	**	إنما العاجـــــز من لا يستبد	٨٣
١٣	ويجعل البُرَّ قمحاً فيِ تَصَرُّفِهِ	**	وجانب الرَّاء حتى احتال للشَّعَر	٨٤
١٤	ولم يُطِقْ مطراً والقولُ يُعجِلُهُ	**	فعاذ بالغيثِ إشفافاً مــن المطر	٨٤
١٥	لثغاء تأتـــــي بحيفسٍ ألثغ	**	تميــسُ في المــوشيِّ والُمصبَّغ	٨٥
١٦	ولكنَّ حكلاً لا تبين وديتهــا	**	عبــادةُ أعــلاج عليها البرانِسُ	٨٦
١٧	قَلَّت قوادحهــا وتَمَّ عديدها	**	فلــه بذلك مـــزيَّة لا تُنكـــر	٨٧
١٨	أتَمَّتني فلم تنقص عظامــي	**	ولاصوتي إذا جَدَّ الخُصوم	٨٧
١٩	وشعر كبعر بالكبش فرَّق بينه	**	لسان دعِيّ في القريض دخيل	٩٠
٢٠	يوم فتحت سيفك من بعيد	**	أضعت وكل أمرك للضياع	٩٢